الفتح العثمانى للقسطنطينية ١٤٥٣م

"دراسة في المصادر التاريخية الروسية"

نسطور – اسكندر نموذجا

أ.د. حاتم عبدالرحمن الطحاوى (*)

يعد الفتح العثماني لمدينة القسطنطينية حدثا مفصليا فريدا في تاريخ العلاقات بين الإسلام والمسيحية في نهايات العصور الوسطى. وكان من الطبيعى أن يتم تسجيل ذلك الحدث الكبير عبر المصادر التاريخية المعاصرة ، فضلا عن روايات شهود العيان الذين كان معظمهم داخل القسطنطينية أثناء الفتح العثمانى للمدينة[١] . وتنوعت وتباينت تلك الروايات التى كان أصحابها من المسيحيين البيزنطيين الأرثوذكس واللاتين الكاثوليك والعثمانيين المسلمين ، حسب الرؤية الخاصة لكل منهم .

وبالإضافة إلى ذلك قام الروسى الأرثوذكسى نسطور – إسكندر Nestor-Iskendar خلال الأعوام ١٢٨١–١٤٨٥م بتدوين روايته الهامة عما شاهده بنفسه من أحداث الفتح العثمانى للقسطنطينية في كتابه المسمى : "قصة مدينة القسطنطينية منذ نشأتها وحتى الغزو العثمانى لها"[٢] .

ويعالج هذا البحث بشكل خاص رؤية الشاب الروسى نسطور – إسكندر القادم من اقليم Pskov (شمالى روسيا البيضاء Belarus الحالية) الذى كان فى الأراضى البيزنطية في معية جماعة من الحجاج الروس فى طريقه لزيارة المزارات المقدسة بمدينة القسطنطينية[٣] . حيث قام العثمانيون بأسره قبل أن يتحول للإسلام ويحمل اسم إسكندر . حدث هذا قبيل أن يعمل فى فرقة المدفعية العثمانية التى تولت قذف أسوار القسطنطينية . ويبدو أنه لم يكن راضيًا عن عمله ضد المسيحيين فى المدينة ، لذا

(*) كلية الآداب – جامعة الملك فيصل الأحساء – المملكة العربية السعودية .

ذكر أنه كثيرًا ما كان يتقاعس عن عمله عبر التظاهر بالمرض أحيانا ، فضلا عن اختبائه فى أحايين أخرى[٤] . كما اعتمد فى تأليف روايته على ما شاهده بنفسه ، وكذلك على ما رواه له السكان الموثوق بهم داخل المدينة حول ما جرى بها من أحداث[٥] .

على أية حال، كان الاعتقاد حتى وقت قريب أن نسطور- إسكندر قد دخل مدينة القسطنطينية برفقة الفاتحين العثمانيين يوم ٢٩ مايو ١٤٥٣م .غير أن الأبحاث الحديثة التى اعتمدت على التعمق فى تحليل ما قام بروايته من أحداث ، أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أنه نجح فى الهرب من آسريه العثمانيين، ودخل المدينة قبل فتحها لينضم الى المدافعين البيزنطيين عن القسطنطينية [٦] .

تجلت فى رواية نسطور – إسكندر الأحداث اليومية للحصار العثمانى ، كما قدم وصفاً واضحاً عن محاولات العثمانيين المتكررة لاقتحام المدينة عبر إسقاط الأسوار ، و كذلك حفر الأنفاق ، قبل نجاحهم فى دخول المدينة عبر بوابة القديس رومانوس St.Romanos . غير أنه قام بالتركيز على شخصية الامبراطور البيزنطى قسطنطين الحادى عشر باليولوغسConstantine XI Palaeologus (١٤٤٩-١٤٥٣ م) مبالغاً فى إظهار شجاعته العسكرية . و كذا تحدث عما قام به القائد الجنوى جستنيانى لونجوGuistiniani Longo و سكان القسطنطينية فى الدفاع عن الأسوار ، كما اهتم أيضاً بالجنود العثمانيين و مدى تسليحهم . كما قام بالتركيز أيضاً على النبوءات و العلامات التى تحدثت عن سقوط القسطنطينية . وتسجيل المآسى التى عاناها السكان البيزنطيين ، فضلاً عن نواح القساوسة و الرهبان و استنجادهم بالسيدة العذراء حامية المدينة . و ختم روايته برثاء كبير للقسطنطينية التى مثلت عاصمة المسيحية الأوربية الارثوذكسية .

بدأ نسطور –إسكندر روايته عن الفتح العثمانى للقسطنطينية بذكر قيام السلطان محمد الفاتح بحشد العديد من المحاربين على البر و فى البحر لحصار المدينة . غير

أنه أخطأ عندما ذكر أن السلطان وصل فجأة ليضرب حصاره القوى على القسطنطينية (٧) .

و يبدو واضحا أن مؤرخنا الذى قدم من روسيا لزيارة الأماكن المقدسة بالمدينة ، لم يكن على علم بتطور العلاقات السياسية و العسكرية بين العثمانية و بقايا الإمبراطورية البيزنطية فى القسطنطينية.و الدليل على ذلك أنه بدأ فى ذكر الأحداث التى جرت فقط منذ وقوعه فى الأسر العثمانى ، أى قبيل الفتح العثمانى للمدينة بعدة أسابيع .

و نتيجة لحداثة وجوده فى دائرة الصراع العثمانى البيزنطى فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى، فلم يكلف نسطور –إسكندر نفسه عناء البحث عن الأسباب التى دعت السلطان العثمانى محمد الفاتح للإسراع بمهاجمة القسطنطينية ، و هو ما تحدثت عنه أيضاً المصادر التاريخية المعاصرة التى أفاضت فى ذكر رغبة محمد الفاتح فى تحقيق الهدف العثمانى القديم بفتح العاصمة البيزنطية (٨) .

غير أن الحقيقة تكمن فى أن العامل الداخلى الذى غفل عنه نسطور – إسكندر ، كان أقوى تأثيراً ، فقد احتاج السلطان الجديد الى إنجاز كبير يمكنه من القضاء على نفوذ الوزير جاندارلى خليل باشا، الذى كان فى نفس الوقت وصياً عليه . فقد احتدم الصراع الداخلى بين محمد الفاتح و رجاله من الدوشرمة و الباشوات و بين معسكر خليل باشا ، مما دعا بالسلطان العثمانى الى العمل بسرعة من أجل فتح القسطنطينية التى كانت تعانى ضعفاً عسكرياً منذ فترة من الزمن (٩) .

لم يشر نسطور – إسكندر أيضا الى استنجاد الامبراطور البيزنطى الأرثوذكسى قسطنطين الحادى عشر بالغرب الكاثوليكى بعد تيقنه من نوايا السلطان محمد الفاتح ، و هو ما دعاه الى الموافقة على اقرار الاتحاد الكنسى بين روما و القسطنطينية الذى تم فى كنيسة أيا صوفيا فى الثالث عشر من ديسمبر ١٤٥٢م، على الرغم من اعتراض معظم سكان القسطنطينية على ذلك (١٠) .

و هكذا كان من الطبيعى أن يغفل نسطور- اسكندر الحديث أيضاً عن وجود الكاردينال إيزيدور Isidor أسقف مدينة كييف Kiev، و ممثل البابا الكاثوليكى نيقولا الخامس Nicholas V (١٤٤٧-١٤٥٥م) الذى حضر الى القسطنطينية من أجل إقرار الاتحاد الكنسى فى القسطنطينية ، و برفقته المئات من الجنود و المرتزقة لتقديم المساعدة العسكرية للامبراطور قسطنطين الحادى عشر ضد التهديدات العسكرية العثمانية للمدينة[١١] . و لم يذكر أيضاً الدور العسكرى الذى قام به الكاردينال إيزودر و القوات التى حضرت معه فى الدفاع عن أسوار القسطنطينية و خاصة حى القديس ديمتريوس St. Demetrios [١٢] .

على أية حال ، أشار نسطور - إسكندر الى إرسال الامبراطور البيزنطى قسطنطين الحادى عشر رسله للسلطان الفاتح للوقوف على نواياه ومناقشة حالة السلام التى كانت قائمة بينهما. غير أن الأخير قام بطرد السفارة البيزنطية[١٣] فى علامة على اتخاذه سياسة المواجهة العسكرية إزاء القسطنطينية . كما أنه لم يشر أيضاً الى العرض الأخير الذى قدمه السلطان الفاتح للامبراطور البيزنطى بضرورة دفع ١٠٠ ألف بيزانت Bezantأو الرحيل عن المدينة مع حاشيته حاملين معهم ثرواتهم [١٤] . وهو ما لم يستجب له قسطنطين الحادى عشر ، الأمر الذى دفع السلطان الى تشديد حصاره حول الأسوار .

و هكذا فضل السلطان العثمانى نصب معسكره أمام الجزء الأضعف من الأسوار الذى عرف باسم Mesoteichion [١٥] فى مواجهة باب القديس رومانوس St. Romanos ، بالقرب من منطقة Myriandrion عند بوابة خارسيوس . وهو مالفت انتباه مؤرخنا الذى تحدث عن بداية الحصار العثمانى الحقيقى على القسطنطينية دون أن يحدد تاريخ ذلك بالخامس من شهر أبريل ١٤٥٣م، مثل باقى شهود العيان مثل نيقولو باربارو والأب ليونارد الخيوسى[١٦] .

و يمكننا عبر مقارنة رواية نسطور – إسكندر بروايات باقى شهود العيان أن نقرر أنه تحدث باقتضاب عن الفترة الأولى من الحصار العثمانى (٥–١٨ أبريل)، بحيث قام بالتركيز خلالها على مهاجمة العثمانيين للأسوار ، و البسالة التى أبداها الامبراطور البيزنطى و رجاله فى الدفاع عنها. غير أنه أفصح لنا عن شعوره الخاص إزاء الهجوم العثمانى الكبير على عاصمة المسيحية الأوربية الأرثوذكسية . حيث نجده يفسر ذلك الخطر الذى تعرضت له القسطنطينية بسبب عدم تقوى المسيحيين و أخطائهم و ارتكابهم للمعاصى و الشرور[١٧] ، فاستحقوا على إثرها عقاب الرب المتمثل فى هجمات العثمانيين على المدينة .

و الملاحظ على رواية نسطور – اسكندر حول أحداث الحصار و الفتح العثمانى لمدينة القسطنطينية أنه نادراً ما ذكر تواريخ بدء الحصار و أيام الهجمات العثمانية البرية و البحرية المتعاقبة على المدينة، كما فعلت باقى الروايات المعاصرة لهذا الحدث .

على أنه يمكننا أن نضع التواريخ الحقيقية لتلك الأحداث عبر مقارنة روايته بما ذكره شاهد العيان و الطبيب البندقى نيقولو باربارو . ليصبح " اليوم الرابع عشر للحصار " هو يوم الثامن عشر من شهر أبريل ١٤٥٣م[١٨] . كما أنه اتفق مع باربارو فى ذكره أنه على الرغم من ضراوة الهجوم العثمانى فإن المدافعين البيزنطيين نجحوا فى صده بصعوبة بالغة [١٩] .

و يبدو أن ذلك القتال كان ضارياً بالفعل حسب كلمات نسطور– إسكندر " ... إن الأصوات الهائلة للمدافع و البنادق القديمة ، فضلاً عن الصوت العالى للأجراس ، و قرقعة السلاح ، فضلاً عن الأضواء التى تخرج من مختلف الأسلحة ، بالإضافة الى بكاء و نشيج الأطفال وكذا نساء المدينة. كل ذلك جعل المرء يعتقد أن السماء و الأرض قد اتحدتا و أصبحتا شيئاً واحداً، بل و أخذتا فى الرجفة و الارتعاش ... لم يكن المرء يستطيع سماع الآخر ، .. فقد كانت الجلبة تشبه صوت الرعد "[٢٠] .

وعلى الرغم من مبالغة نسطور- إسكندر فى أعداد القتلى من الجانب العثمانى فإنه لم يشر إلى أعداد القوات العثمانية التى قامت بحصار واقتحام مدينة القسطنطينية. وهو الأمر الذى أفاضت فيه باقى المصادر المعاصرة على الرغم من مبالغتها فى ذلك أيضا[٢١] . وهو الأمر الذى رفضته بموضوعية الدراسات الحديثة التى تناولت تلك القضية[٢٢] .

و حتى لا تستغرقنا تفاصيل القتال اليومى بين الطرفين، فإن ما يهمنا من رواية نسطور- إسكندر هى المحددات الأساسية التى وردت فى شهادته ، ومقارنتها بما ورد فى المصادر التاريخية المعاصرة. وعليه سوف نقوم بالتركيز عليها لتبيان مدى الاتفاق والاختلاف معها ، وأسباب ذلك .

كما سوف يتناول البحث رؤية نسطور للجيش العثمانى، أسلحته، و رجاله، والوسائل العسكرية التى اتخذها إبان الحصار من أجل محاولة اقتحام أسوار القسطنطينية . كما سوف نقوم بالتركيز على صورة الإمبراطور البيزنطى الأخير قسطنطين الحادى عشر باليولوغس و الدور الدفاعى الذى قام به. و كذلك دور القائد العسكرى الجنوى جيوفانى جستنيانى لونجو ، والمجهودات الدفاعية التى قام بها السكان للدفاع عن الأسوار . بعد ذلك سوف يتم مناقشة رؤية نسطور و تفسيراته لسقوط القسطنطينية ، و اعتباره أن ما جرى يمثل تحقيقاً لنبوءات قديمة تحدثت عن سقوطها فى قبضة المسلمين . بالاضافة الى ما ذكره نسطور حول الإجراءات التى اتخذها السلطان العثمانى بعد دخوله المدينة مع قواته فى التاسع و العشرين من مايو ١٤٥٣م .

تناول نسطور - إسكندر الحديث عن القوات العثمانية المهاجمة بشكل عام . فلم يتطرق الى عدد قوات محمد الفاتح، و تقسيماتها ، و لا الى خطة الهجوم العثمانى على الأسوار، و دور الجنود الانكشارية Janissaries فى اقتحام المدينة .

كما خلف لنا وصفاً لم نجده عند نسطور- اسكندر حول أسلوب الهجوم على الأسوار ، حيث بدأ العثمانيون مهاجمتهم لها عبر الفرقة الأولى المؤلفة من الجنود المسيحيين الذين حاولوا تثبيت السلالم و محاولة الصعود الى أعلى الأسوار. وعندما قام المدافعون البيزنطيون بردهم على أعقابهم بعد تكبيدهم عدداً كبيراً من القتلى، قامت الفرقة العثمانية الثانية بمهاجمة الأسوار بالقرب من بوابة القديس رومانوس ، ونجحوا فى إرهاق المدافعين البيزنطيين الذين تمكنوا من ردهم بصعوبة بالغة . وهو ما استوجب تقدم الفرقة الثالثة المؤلفة من الجنود الانكشارية الذين اتصفوا بالبسالة والشجاعة . ونجحوا فى استغلال حالة الإرهاق التى تمكنت من المدافعين جراء تصديهم للفرقتين السابقتين، فانطلقوا بقوة هائلة، و نجحوا فى سحق القوات البيزنطية واقتحام أسوار القسطنطينية .

ومن الغريب أن نسطور- اسكندر الذي كتب روايته معتمداً بشكل كبير على الهجمات المتوالية التي قام بها الجنود الإنكشارية على أسوار القسطنطينية ،لم يستطع أن يفرق بين مشاعره الشخصية تجاه هؤلاء الجنود العثمانيين، و بين المهارة العسكرية التي تميزوا بها ، وقام باقي شهود العيان الأخرين برصدها[٢٣] . و لابد أن ذلك يرجع ذلك الى غلبة التعصب الدينى لديه على الحقيقة التاريخية .

على أن ما يلفت النظر فى رواية نسطور- اسكندر هو أنه نجح فى رصد عدة أسماء للجنود والقادة العثمانيين بعضها ورد فى المصادر التاريخية المعاصرة، مثل زجانوس Zaganos وبلطه أوغلو Baltaoglu [٢٤] . كما تطرق الى بعض الأسماء الأخرى التى لم ترد فى باقى المصادر ، من ذلك ما أورده من نجاح الإنكشارى مراد Amurat فى إصابة القائد الجنوى جستنيانى[٢٥]. كما نجح فى رصد أسماء بعض القادة العثمانيين الآخرين ، مثل عمر بك Amar-bey حامل اللواء من الناحية الغربية، ومصطفى حامل اللواء من الناحية الشرقية للمدينة [٢٦].

كما تحدث عن المدافع التى استخدمها الجيش العثمانى ، و خاصة المدفع الضخم Basilika الذى أمر الفاتح بوضعه فى مواجهة أضعف نقطة فى أسوار القسطنطينية ،

على الحافة الشمالية المرتفعة للتل السابع فى مواجهة باب القديس رومانوس St. Romanos [٢٧] .

والحقيقة أن المدفع العثمانى الضخم قد حاز على إشارات عديدة فى المصادر التاريخية المعاصرة، التى أجمعت على دوره الكبير فى إسقاط أحد أجزاء سور القسطنطينية . الأمر الذى ساهم فى اقتحام العثمانيين للمدينة[٢٨] .

غير أنه ذكر أيضاً أن السلطان الفاتح أمر بسحب ذلك المدفع الضخم لإصلاحه وتقويته. وعندما حاول العثمانيون إطلاقه بعد ذلك انفجر فى الحال الى عدة أجزاء ، وهو ما دفع الفاتح الى نقله الى منطقة أخرى من أجل إصلاحه[٢٩] .

ويمكننا أن نتفق مع الباحث التركى Emecen, F على أن حكاية المدفع الضخم قد تمت المبالغة فيها، لأن معظم المدافع الكبيرة جرى إطلاقها لمرة واحدة. بينما انفجر بعضها، و أعيد إصلاحه من جديد . كما أن بعضها لم يتم إصلاحه. و أن المدافع صغيرة الحجم هى التى أثرت بالفعل على الأسوار [٣٠] .

و الحقيقة أن نسطور- إسكندر قد أشار أكثر من مرة الى استخدام العثمانيين للعديد من المدافع و نتائجها الكبيرة على الأسوار. غير أنه لم يشر الى سابق استخدامها قبل ذلك عند انتهائهم من بناء قلعة الروميلى، حيث قامت المدافع العثمانية بضرب السفن المسيحية القادمة لمساعدة سكان القسطنطينية . كما نجحت فى إغراق سفينة الربان البندقى أنطونيو ريتزو Antonio Rizzo فى مضيق البوسفور [٣١] .

ومن خلال رصده للتحركات العسكرية العثمانية الرامية الى إحكام الحصار حول مدينة القسطنطينية، أشار أيضا باقتضاب الى قيام العثمانيين بصناعة جسر خشبى امتد من منطقة غلطه حتى أسوار القسطنطينية فوق مياه خليج القرن الذهبى . ليقوم الفرسان العثمانيون بالعبور فوقه و مهاجمة المدافعين البيزنطيين [٣٢] .

ويتفق نسطور- اسكندر هنا مع ما ورد لدى شهود العيان الاخرين، غير أنه لم يشرح لنا كيفية نجاح العثمانيين فى ذلك . فقد أمر السلطان الفاتح بتشييد جسر يبلغ

طوله ٣٠Stadia من غلطه ليقطع فى استقامته خليج القرن الذهبى حتى أسوار القسطنطينية . و ذلك عبر ربط براميل الخمور جنباً الى جنب. ووضع ألواح خشبية فى أعلاها بعد تثبيتها بالمسامير. وهكذا تمكن العثمانيون من العبور الى منطقة الأسوار البحرية (٣٣) .

وتنوعت التكتيكات العسكرية التى استخدمها العثمانيون من أجل اقتحام مدينة القسطنطينية ، ما بين الهجمات البرية عبر الأسوار ، فضلاً عن محاولات التسلل الى الأسوار البحرية للقسطنطينية ، كما استخدمت قوات السلطان محمد الفاتح تكتيكاً عسكرياً سبق أن استخدمته قوات والده السلطان العثمانى مراد الثانى (١٤٢١-١٤٥١م) إبان حصاره للمدينة عام ١٤٢٢م، هو محاولة التسلل الى داخل القسطنطينية عبر أنفاق تحت أسوار المدينة (٣٤) .

وعلى الرغم مما ذكره الكاردينال إيزيدور فيما بعد فى رسالته الى الكاردينال بيساريون Bessarion من أن السلطان العثمانى قام بتغيير تكتيكه فى مهاجمة أسوار القسطنطينية، وانتقل الى حفر خمسة أنفاق متتالية من أجل التسلل الى المدينة (٣٥) ، فإن نسطور- اسكندر لم يتحدث عن ذلك على الإطلاق .

وكان من الطبيعى ألا يذكر نسطور- اسكندر أن السكان و المدافعين البيزنطيين قد فطنوا لما يقوم به العثمانيون الذين كانوا يصلون بأنفاقهم حتى أساسات الأسوار والأبراج ، وهو ما دعى البيزنطيين الى حفر أنفاق مضادة، ثم إشعالها بالنيران والكبريت لمواجهة المتسللين (٣٦) . وقد نجحت هذه الطريقة فى منع الجنود العثمانيين من النفاذ الى داخل المدينة .

بالاضافة الى ذلك ، استخدم الجنود العثمانيون المهاجمون تكتيكاً دفاعياً لحمايتهم إبان هجماتهم المتواصلة على أسوار القسطنطينية ، وهو ما أشار اليه نسطور- إسكندر باقتضاب ".. قام العثمانيون بتحريك الأبراج الخشبية العالية بسرعة لحماية أنفسهم "(٣٧) .

والحقيقة أن بناء العثمانيين لتلك الأبراج و القلاع الخشبية و استخدامها فى الهجوم على أسوار القسطنطينية كان تكتيكاً عسكرياً قديما سبق أن استخدمه العثمانيون أيضاً إبان حصار السلطان مراد الثانى للقسطنطينية ١٤٢٢م [٣٨] .

ويبدو أن استغراق نسطور- إسكندر فى تناول الهجمات العثمانية البرية على أسوار القسطنطينية قد جعله لا يهتم كثيراً بالإشارة الى الأسطول العثمانى، أو الى المناوشات البحرية التى جرت مع السفن البيزنطية و الإيطالية. فلم يشر إلى ذلك سوى بإشارات عابرة . عندما تحدث عن نجاح القائد الجنوى جستنيانى فى النفاذ بسفينته من وسط السفن العثمانية حتى وصل الى القسطنطينية[٣٩] . كما ذكر قلق السلطان الفاتح جراء فتح الطرق البحرية المؤدية للقسطنطينية نتيجة ضعف الحصار البحرى العثمانى [٤٠] . غير أنه أصاب ذات مرة عندما عندما أشار إلى مساهمة البحرية العثمانية فى قذف الأسوار البحرية للقسطنطينية " [٤١] .

ويمكن تفسير ذلك بأن نسطور- اسكندر كان يدافع عن المدينة عند الأسوار البرية ، بعكس نيقولو باربارو الذى عمل طبيباً على متن إحدى سفن البندقية الراسية فى القرن الذهبى. و هو ما مكنه من الاهتمام بأحوال الحصار البحرى العثمانى ، فذكر أن سفن الأسطول العثمانى بلغت ١٤٥ سفينة بها ما بين ١٦- ٢٠ سفينة لنقل الخيول [٤٢] . أما المؤرخ البيزنطى فرانتزس فقد بالغ تماماً فى عدد سفن الأسطول العثمانى و ذكر أنها بلغت ٤٠٠ سفينة ما بين صغيرة و كبيرة [٤٣] .

وهكذا لم يشر الى السفن الجنوية الخمسة التى وصلت لميناء القسطنطينية فى العشرين من أبريل بعد نجاحها فى اختراق الحصار البحرى، وانتصارها على سفن الأسطول العثمانى فى مياه البوسفور[٤٤] .

وبالتالى فلم يعرف نسطور- إسكندر أن القائد البحرى العثمانى الذى لقى هذه الهزيمة هو بلطه أوغلو، الذى تحدث عنه سابقا بوصفه مسئولاً عن مهاجمة الأسوار البحرية للقسطنطينية [٤٥] . كما أشار اليه من جديد بعدما أمره السلطان الفاتح عند

اقتحام القسطنطينية فى ٢٩ مايو١٤٥٣م بضرورة البحث عن الإمبراطور و القبض عليه مع رجاله(٤٦) .

واستمراراً لسياسة نسطور- اسكندر فى إغفال أمور البحرية العثمانية، فلم يذكر الخطة الحربية العبقرية للسلطان محمد الفاتح التى نجح بمقتضاها فى نقل عشرات السفن العثمانية من مضيق البوسفور الى خليج القرن الذهبى فى ليلة واحدة ،بعد نقلها بطريق البر ، وعبر تعبيد طريقها بالقضبان الحديدية و الشحوم، و بمساعدة الرجال والثيران وأشرعة السفن نفسها . وهى الخطة التى تحدث عنها تقريبا كافة شهود العيان الذين شهدوا الفتح العثمانى للقسطنطينية (٤٧).

غير أننا نوافق الباحث التركى Emecen تشككه فى هذه الرواية أيضاً حيث يذكر أنه لا يوجد سبب لتصديقها بهذا الشكل. و أن إنزال ٥٠- ٦٠ سفينة الى خليج القرن الذهبى بعد جرها برا فى ليلة واحدة يكاد يكون أمراً مستحيلاً ؛ و يستبدل تلك الفكرة بأنه ربما تمت صناعة تلك السفن من قبل على البر، ثم جرى إنزالها الى مياه الخليج . كما أنها لم تكن سفناً حربية بالمعنى المعروف، بل كانت سفناً صغيرة ربطت ببعضها البعض لتشكل جسراً يمهد لعبور الجنود من غلطه الى الجهة الأخرى، حيث أسوار القسطنطينية (٤٨).

كان من الطبيعى أن يهتم نسطور- إسكندر بذكر أخبار الإمبراطور البيزنطى الأخير قسطنطين الحادى عشر باليولوغس. غير أن الملاحظ أنه - وعلى عكس باقى المصادر التاريخية المعاصرة- جعل منه بطلاً أسطورياً ، و أشاد بشجاعته الفائقة فى غير موضع. فضلاً عن التركيز على رفضه لطلب رجال الكنيسة وسكان القسطنطينية بسرعة الرحيل عن المدينة، ورده عليهم بأنه سوف يبقى كى يموت فى وسطهم .

والحقيقة أن الامبراطور قسطنطين الحادى عشر أرسل سفارة الى البابا الكاثوليكى نيقولا الخامس يسأله سرعة تقديم العون للمدينة أمام الخطر العثمانى. ويخبره فيها أنه اذا ما تمكن العثمانيون من الاستيلاء على القسطنطينية ، فان وجهتهم التالية سوف تكون مدينة روما نفسها. وأخبره بأنه قد اعترف بقرارات مجمع فلورنسا

حول توحيد الكنائس . كما أرسل الى أخويه ديمتريوس و توماس فى المورة من أجل مساعدته(٤٩) .

على أية حال أشار نسطور- إسكندر الى الاستعدادات التى قام بها الإمبراطور قسطنطين الحادى عشر للدفاع عن مدينته ، فأشار الى أنه أمر بتوزيع الجنود بطول الأسوار والفتحات العليا وعلى بوابات المدينة ونشر المدافع والبنادق أعلى الأسوار، وحث الجميع على الالتزام بالحراسة فى مواقعهم (٥٠) ، فضلاً عن قرع أجراس الموسيقى العسكرية.

ولم يكتف الإمبراطور بهذا ، بل أخذ على عاتقه الطواف على صهوة جواده حول الأسوار وهو يصيح لإثارة حماسة المدافعين عن المدينة (٥١) . واستمر نسطور في الإشادة بدور قسطنطين الحادى عشر لدرجة جعلته ينسب اليه الفضل الأكبر فى الدفاع عن القسطنطينية "... أخذ الإمبراطور يصيح فى رجاله، وهو ما جعلهم يمتلئون بالشجاعة. كما قام بنفسه بمهاجمة العثمانيين وإيقاف زحفهم .." ، " والحقيقة أنه لو لم يكن الإمبراطور موجوداً وقام بحث المدافعين على القتال، لسقطت المدينة قبل ذلك" (٥٢).

واستمر نسطور- اسكندر فى المبالغة بشجاعة الامبراطور البيزنطى الأخير، الذى ".. قام بتمزيق شمل العثمانيين. ووضع السيف بين أكتافهم و ضلوعهم . فقد كان يخطى بقوة مرعبه ' لذا جرى العثمانيون من أمامه و تمزق شملهم " . ولم تكتف الرواية بالاشارة الى شجاعة الامبراطور الهجومية، بل انتقلت الى بسالته فى الدفاع أيضاً"... حاصره العثمانيون بكافة أنواع الأسلحة ، كما أطلقوا عليه عدداً لا يحصى من السهام، غير أنها تجنبته دون أن تصيبه بسوء، وبعدما كان يقف وحيداً، ممتشقاً ، انطلق الى مطاردتهم ودفعهم عن المدينة(٥٣) ".

وتبلغ المبالغة مداها عندما زعم أن السلطان العثمانى شعر بالخوف بعدما استمع الى شجاعة الامبراطور. وهو ما جعله يتصف بالحذر ، وأن يحرص على أن يكون دائماً وسط جنوده الانكشارية (٥٤) .

بعد أن شدد السلطان محمد الفاتح حصاره، وبدا أنه لن يعود عن قراره باقتحام المدينة ، وبعد انقطاع أمل سكان القسطنطينية فى قدوم أية مساعدة من الخارج . طلب رجال الدين و السكان من الإمبراطور ضرورة الرحيل عن المدينة ، غير أنه رفض هذا العرض تماماً[٥٥] . بل أنه توجه قبيل الهجوم العثمانى النهائى الى كنيسة أيا صوفيا ، حيث خر ساجداً متوسلاً محبة الرب و مغفرته. وقام بتوديع رجال الإكليروس، قبل أن يقوم بمغادرة الكنيسة والتوجه للمشاركة فى المعركة الأخيرة ضد العثمانيين قائلاً " من أراد أن يقاسى من أجل كنيسة الرب، ومن أجل الدين الحقيقى .... فليأت معى "[٥٦] .

أجمعت معظم روايات شهود العيان والمصادر التاريخية المعاصرة على مقتل الامبراطور البيزنطى الأخير قسطنطين الحادى عشر أثناء الهجوم العثمانى الأخير ، غير أن الاختلاف بينها كان فى طريقة مقتله. فعلى حين ذكر أحدهم أن الإمبراطور قام بشنق نفسه فى اللحظة التى قام فيها الجنود العثمانيون باقتحام بوابة القديس رومانوس[٥٧] ، أشار آخرون الى أنه قتل نتيجة اندفاع المهاجمين العثمانيين الى داخل المدينة [٥٨] .

وكان من الطبيعى بعد نجاح العثمانيين فى اقتحام القسطنطينية أن يحاولوا التأكد من مصير الإمبراطور البيزنطى. و يخبرنا نسطور أن السلطان الفاتح أمر القائد العثمانى بلطه أوغلو و فرقته العسكرية بالإضافة الى ثلاثة آلاف جندى آخر بالبحث عن الامبراطور[٥٩] . وعندما تم العثور عليها سعد السلطان بذلك، ثم قام بإرسالها كى يتم تحنيطها و الاحتفاظ بها تحت مذبح كنيسة أيا صوفيا " [٦٠] .

والحقيقة أن مسألة مقتل الامبراطور قسطنطين الحادى عشر و العثور على جثته كانت مادة خصبة فى روايات شهود العيان و المصادر التاريخية و الأدبية المعاصرة. فعلى حين ذكر البعض أن الامبراطور خشى الموت أمام العثمانيين ، وكان يفضل أن يموت بسيف أحد أتباعه البيزنطيين . وهو ما دعاه للصياح بهم " ألا يوجد أحد من جنودى الشجعان يتقدم ليقتلنى بسيفى هذا باسم الرب "[٦١] .

و بصرف النظر عن تطابق ذلك مع ما أورده الشاعر الأرمنى أبراهام من أنقرة حول نجاح أحد قباطنة السفن الايطاليين فى الهرب بالامبراطور[٦٢] ، فالحقيقة أنه على الرغم من إجماع الغالبية العظمى من المصادر و روايات شهود العيان على مقتل الامبراطور البيزنطى الأخير فى لحظة الإقتحام العثمانى للقسطنطينية ، فإن ما ذكره نسطور- اسكندر عن تمكن الامبراطور من الهروب إنما كان مرده تمنى نجاح الامبراطور فى الإفلات من مصيره البائس على يد العثمانيين، والنجاح فى مغادرة المدينة فى الوقت المناسب بهدف طلب النجدة من الغرب الأوربى المسيحى، و العودة لاستعادة القسطنطينية من جديد [٦٣] .

غير أن نسطور- اسكندر سقط فى خطأ لم يرد فى جميع المصادر التاريخية المعاصرة عندما تحدث عن الإمبراطورة زوجة الامبراطور قسطنطين الحادى عشر باليولوغس ، فزعم تواجدها برفقة العديد من سكان القسطنطينية الذين قاموا باللجوء الى كنيسة أيا صوفيا، حيث تقبلت الصفح و المغفرة وقامت بتوديع الامبراطور، قبل أن ترتدى ثياب الراهبات و تتوجه برفقة بعض القادة العسكريين الذين قاموا باصطحابها الى سفينة هربت بها من القسطنطينية [٦٤] . ثم عاد من جديد الى تأكيد وجودها عندما تحدث عن أمر السلطان الفاتح بعد نجاحه فى دخول المدينة بضرورة معاقبة القادة البيزنطيين الذين قاموا بمساعدة الامبراطورة على الهرب [٦٥] .

ووجه الخطأ هنا أن الإمبراطور البيزنطى لم تكن له زوجة فى ذلك الوقت ، على الرغم من زواجه مرتين قبل ذلك. كانت الأولى Maddalena Theodora Tocc [٦٦] التى توفيت عام ١٤٢٩م . فتزوج ثانية من Caterina Gattilusio [٦٧] ابنة السيد الجنوى لجزيرة ليسبوس Lisbos عام ١٤٤١م. غير أنها توفيت أيضاً فى العام ١٤٤٣م.

كما أخطأ نسطور- إسكندر مرة أخرى عندما أشار الى البطريرك أثناسيوس Athanasios الذى جمع رجال الاكليروس و السناتو وناشدوا الامبراطور ضرورة الرحيل عن القسطنطينية [٦٨] .

ووجه الخطأ هنا أنه لم يكن يوجد بطريرك فى كنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية إبان الحصار العثمانى للمدينة. فبعد رحيل البطريرك جريجورى الثالث ماماس Gregory III Mamas، تم تعيين البطريرك أثناسيوس الثانى عام ١٤٥٠م. وظل منصب البطريرك شاغراً خلال الأعوام ١٤٥١- ١٤٥٣م. وفيما بعد وافق السلطان الفاتح على تعيين البطريرك جينادیوس الثانى سكولاريوس Gennadias II Scholarios (١٤٥٤-١٤٦٣م) [٦٩] .

تحدث نسطور- إسكندر عن الدور العسكرى الكبير الذى قام به الجنوى جيوفانى جستنيانى لونجو فى الدفاع عن مدينة القسطنطينية ، فذكر أنه وصل الى المدينة برفقة أربع سفن جنوية فضلاً عن ٦٠٠ محارب. كما أشار الى اعتماد الإمبراطور البيزنطى عليه بشكل أساسى فى حراسة الأسوار و سد الثغرة الموجودة بها بعدما أمده بألفى مقاتل بيزنطى [٧٠].

غير أنه ذكر أن جستنيانى قام بتصويب مدفعه ليصيب المدفع الكبير Basilica للعثمانيين و ينفجر تجويفه[٧١] . والحقيقة أن معظم المصادر المعاصرة ذكرت أنه قد انفجر من تلقاء نفسه . كما أنها تحدثت أيضاً عن أن البيزنطيين لم يستطيعوا إدارة مدافعهم بشكل جيد، لدرجة أنها أصابت التحصينات القديمة للأسوار [٧٢] .

والحقيقة أن جيوفانى جستنيانى لعب دوراً كبيراً فى الدفاع عن مدينة القسطنطينية حتى إصابته و انسحابه الى سفينته للعلاج[٧٣] . غير أن نسطور- اسكندر انفرد عن باقى المصادر بالإشارة الى إصابة جستنيانى مرتين أثناء القتال، الأولى عندما قام الإنكشارى مراد بجرحه ، قبل أن يصاب من جديد بزخات من إحدى البنادق العثمانية [٧٤] .

و على الرغم من إشارته الى نفى الامبراطور لإشاعة وفاة جستنيانى ، و إخباره الإيطاليين بذلك، فإنه ذكر أنهم جبنوا و تسلل الضعف اليهم بسبب الهجوم الضارى للقوات العثمانية[٧٥] . ويتضح هنا الموقف الذى اتخذه الروسى الأرثوذكسى نسطور- إسكندر من اللاتين الكاثوليك.ومع ذلك لم يتطرق للنزاع بين جستنيانى و القائد

البيزنطى الأعلى لوكاس نوتاراس Lukas Notaras وما ترتب على ذلك من عداء بين البيزنطيين و اللاتين (٧٦).

كما عرض لأسماء بعض القادة العسكريين البيزنطيين الذين دافعوا عن القسطنطينية . و مع أنه أشار فى غير مرة الى الإستراتيجوس Rhangabes بوصفه قائل العثمانيين بضراوة (٧٧). فإن الباحث لم يعثر على هذا الاسم فى باقى المصادر المعاصرة. و لم يكن هو استراتيجوس المدينة زمن الحصار العثمانى . كما أشار أيضاً الى كل من الإستراتيجوس سينجكورلاس باليولوغس Singkourlas Palaiologos ، و شيليارك باليولوغس Chiliarch Palaiologos (٧٨) ..

غير أن نسطور-إسكندر غفل عن أمر السلسلة الحديدة التى أمر الإمبراطور البيزنطى بمدها لإغلاق خليج القرن الذهبى أمام السفن العثمانية. بالإضافة الى وضع عشرات السفن البيزنطية أمامها و خلفها حتى يستحيل على الأسطول العثمانى اقتحام الخليج (٧٩).

وفى ملاحظة ذكية أشار مؤرخنا الى ما يمكن تسميته بنوع آخر من الدفاع لجأ اليه سكان المدينة . و هو دفاع يعود الى التصورات الدينية للسكان البيزنطيين حول السيدة العذراء باعتبارها حامية مدينة القسطنطينية . و سبق أن قامت بحفظها من السقوط إبان الحصار العثمانى الذى قاده السلطان مراد الثانى عام ١٤٢٢م(٨٠). فتابع سير الإمبراطور و رجال الإكليروس و النساء و الأطفال فى شوارع المدينة عبر صلاة باكية و هم ينتحبون يطلبون المساعدة و الرحمة من الرب والسيدة العذراء . كما خرجوا بعد سماع صوت الأجراس إبان الهجوم العثمانى الأخير على القسطنطينية و تناولوا الأيقونات المقدسة و قاموا بتمجيد الصليب ملتمسين رحمة الرب فى صلاة باكية عبر أرجاء المدينة (٨١).

لم يتطرق نسطور- اسكندر إلى المساعدات العسكرية التى قدمها اللاتين للدفاع عن القسطنطينية باستثناء ما ذكره عن مجهودات جيوفانى جستنيانى، فلم يخبرنا عن الدور الذى لعبه الكاردينال إيزيدور الذى سبق أن حضر برفقة المئات من الجنود

والمرتزقة وقام بالدفاع عن منطقة حى القديس ديمتريوس St. Demetrios بالقسطنطينية [٨٢] . وبالتالى لم يعرف ما حل به بعيد اقتحام العثمانيين للمدينة . حيث تم أسر إيزيدور بعد قيامه بالتخفى عبر ارتدائه ملابس رثة و باليه ، وهو ما جعل العثمانيون لا يتعرفون عليه. فأطلقوا سراحه مقابل بعض العملات العثمانية Aspri [٨٣]. كما لم يشر أيضاً الى دفاع قنصل القطلان عن الأسوار جنوبى الهيبدروم القديم [٨٤] ، ولا الى مساعدات البنادقة فى الدفاع عن مدينة القسطنطينية [٨٥] .

وتأكيداً على عدم معرفة نسطور- إسكندر بطبيعة العلاقات السياسية بين الامبراطورية البيزنطية و العثمانيين قبل فتح القسطنطينية ، نجده يغفل عن الدور العسكرى الذى لعبه الأمير العثمانى أورخان Orhan بن سليمان الذى تكفل مع بعض المرتزقة الأتراك بالدفاع عن أحد أحياء القسطنطينية من جانب البحر [٨٦].

وهكذا لم يفطن أيضا الى مغزى احتفاظ الإمبراطور البيزنطى قسطنطين الحادى عشر بالأمير المطالب بالعرش العثمانى لاستخدامه كورقة ضغط على محمد الفاتح. و مثلت قضية أورخان أحد عناصر رسالة الإمبراطور التى استفزت السطان العثمانى قبيل حصار القسطنطينية ، والتى طلب منه فيها زيادة المبلغ السنوى لنفقات أورخان والمقدر ب ٣٠٠ ألف أسبره، مقابل الإبقاء عليه فى المدينة، كما لوح الإمبراطور أيضا بإطلاق سراحه ليسبب المتاعب لمحمد الفاتح [٨٧] .

و بالتالى لم يشر مؤرخنا إلى محاولة الأمير أورخان الهرب من القسطنطينية بعيد نجاح العثمانيين فى دخولها، متنكرا فى ثياب الرهبان قبل أن يسقط فى أيدى العثمانيين. قبل أن يتكفل أحد الأسرى البيزنطيين بالكشف عن هويته الحقيقية، ليقوموا بقتله فى الحال [٨٨] .

ونتيجة للنقص الواضح فى معلومات الروسى نسطور- إسكندر حول العلاقات التجارية بين الدولة العثمانية ومدينة جنوا الإيطالية منذ القرن الرابع عشر الميلادى[٨٩] ، فلم يتعرض فى شهادته لطبيعة العلاقات السياسية و التجارية بين محمد

الفاتح وتجار جنوا فى منطقة غلطه أثناء الحصار العثمانى ، التى أسفرت عن معاهدة سلام بين الطرفين بعيد فتح القسطنطينية مباشرة، أمنهم فيها السلطان الفاتح على أرواحهم و أموالهم مقابل الخضوع له، فضلا عن استمرار العمليات التجارية بين الطرفين (٩٠) .

إن ما يستدعى الانتباه أيضا فى رواية نسطور- إسكندر حول الفتح العثمانى للقسطنطينية أنها تماهت أحياناً مع بعض روايات شهود العيان الأخرين الذين تحدثوا عن حدوث علامات إعجازية أثناء حصار المدينة دلت على قرب سقوطها فى أيدى العثمانيين.من ذلك ذكره لما حدث من علامة أصابت السكان بالرعب يوم ٢١مايو١٤٥٣م (٩١) ، دون أن يوضح لقرائه طبيعتها أو دلالات حدوثها .

على أنه يمكننا- بعد مقارنة ذلك مع باقى المصادر المعاصرة- أن نفسر ذلك بأنه قصد ما أشار إلى حدوثه الطبيب البندقى نيقولو باربارو ، فى الساعة الأولى (السابعة مساء) من ليلة ٢٢ مايو، حيث كان القمر بدرا ، قبل أن يتحول فجأة ليصبح هلالاً ، على الرغم من صفاء الجو وعدم وجود أية غيوم بالسماء. واستمرت هذه الظاهرة لأربعة ساعات، بعدها أخذ حجم القمر فى العودة لطبيعته ليعود بدراً كاملاً فى الساعة السادسة من الليل (منتصف الليل)(٩٢) .

و يبدو أن ذلك كان تأكيداً على النبوءة القديمة التى نسبت للامبراطور قسطنطين العظيم مؤسس مدينة القسطنطينية ، الذى ذكر أن مدينته لن تسقط فى أيدى أعدائها أبداً الا عندما يتحول القمر الى بدر معتم (٩٣). ويعكس هذا ثقافة مؤرخنا المستقاة من الأساطير السابقة المتعلقة بنشأة وسقوط مدينة القسطنطينية فى الفكر البيزنطى .

و يتبع نسطور-إسكندر كلماته عن حدوث تلك العلامة المرعبة يوم (الاثنين) ٢١ مايو بإشارته الى أنه فى عشية يوم الجمعة التالى ٢٥ مايو١٤٥٣م، ظهر ضوء ساطع فى سماء القسطنطينية ، و عندما تجمع السكان حول كنيسة أيا صوفيا شاهدوا لهباً يتصاعد محيطاً بالصخرة الداخلية للكنيسة ، و متجمعاً فى لسان واحد، ليشكل ضوءاً لا يمكن وصفه قبل أن ينطلق نحو السماء بسرعة فائقة(٩٤).

و انعكس ذلك على السكان الذين شعروا بالرعب و الفزع ، و فسروا ذلك بأن الروح القدس قد غادرت المدينة، وصعدت نحو أبواب السماء المفتوحة . مما يعنى أن رحمة الرب قد تخلت عن القسطنطينية " ... لقد رغب الرب فى تسليم مدينتنا الى العدو " (٩٥) .

وبإعادة قراءة ذلك بشكل موضوعى نجد أن نسطور- إسكندر قد اتفق تماماً مع باربارو فى ذلك. غير أن قراءة متأنية للهوامش التى وضعها كل من الأستاذين Hanak, W. K و Philippides, M ناشرا كتابه تعليقاً على ذلك يثبت أن التباساً قد وقع على الأرجح فى تلك المسألة . فبعد أن قاما بتفسير علمى لظاهرة الضوء الساطع الذى صعد نحو السماء ، بأنه ربما حدث ذلك بسبب توافر ظروف مناخية غير عادية، وربما حدث أيضاً بسبب تجمع جزيئات متكسرة من دخان المدافع مع ظاهرة جوية أخرى ، فتسبب ذلك فى حدوث نوع من الشحنة الكهربية . فإنهما يجمعان بين رواية باربارو عن البدر المعتم مع ظاهرة الضوء الساطع ، و يذكران أنهما حدث واحد جرى يوم ٢٤مايو . و أن باربارو أخطأ فى نسبة ما ذكره الى ٢١مايو(٩٦) .

و يرى الباحث أن وجه الالتباس هنا أنهما جمعا الظاهرتين (البدر المعتم) و(الضوء الساطع) - على ما بينهما من تناقض- فى ليلة واحدة. و أرى أن رواية باربارو عما جرى ليلة ٢٢ مايو أكثر صدقاً و الدليل على ذلك يأتى بعمل مقارنة سريعة لجدول الأعوام الميلادية وما يقابلها من الأعوام الهجرية، لنجد أن يوم ٢١مايو ١٤٥٣م يوافق يوم ١٣ من جمادى الأول ٨٥٧هـ(٩٧) ، و هو ما يثبت بالتالى أن القمر كان بدراً بالفعل حسب رواية الطبيب البندقى .

و يبدو أن نسطور- إسكندر قد أراد أن يوحى لقراء روايته بأن صدى العلامة المرعبة أو البدر المعتم قد وصل الى المعسكر العثمانى، فزعم أنه عندما شاهد السلطان الفاتح الظلام يلف المدينة ،سأل المنجمين فى معسكره عن معنى ذلك، فأجابوه ".. إنها علامة كبرى ، إن المدينة محكوم عليها بالموت " (٩٨) .

كان من الطبيعى بالنسبة لمؤرخنا المسيحى الأرثوذكسى الذي بدأ رحلته من أجل زيارة الأماكن ذات القداسة المسيحية فى مدينة القسطنطينية، أن يهتم بنبوءات العرافين حول المصير النهائى لعاصمة الأرثوذكسية الأوربية. لهذا نجده يشير الى النبوءة التى نسبت لميثوديوس من باتارا Methodios of Patara فى القرن الرابع الميلادى[٩٩] . التى ثبت لاحقاً أنه تمت كتابتها بواسطة أحد الرهبان السريان هو ميثوديوس المزيف Pseudo- Methodios ، الذى هاجر الى الإمبراطورية البيزنطية بعيد الفتح الاسلامى لبلاد الشام فى القرن السابع الميلادى[١٠٠] . خاصة الجزء الذى تعلق منها بصحوة المسيحية من جديد وقيام الامبراطور البيزنطى بهزيمة المسلمين و مطاردتهم حتى الجزيرة العربية .

والحقيقة أن تلك النبوءات مثلت ملاذاً للسكان البيزنطيين، فمن ناحية قررت حتمية سقوط المدينة من قبل. كما أنها بشرت أيضا بامبراطور مسيحى سوف يقوم من جديد باسترداد القسطنطينية و طرد المسلمين حتى بلادهم .

و يمكننا أن نؤكد أن هذه النبوءة كان لها مصداقية كبرى عند السكان المسيحيين بدليل أنها استمرت حتى بعيد سقوط مدينة القسطنطينية . ولدينا وثيقة عبارة عن خطاب أرسله أحد رجال الكنيسة فى ٢٦ يوليو ١٤٥٣م، أى بعد شهرين تماماً من الفتح العثمانى ، مناشداً صديقه فى مدينة Ainos (Enez الحالية) أن يرسل له نسخة من الكتاب الذى يحكى نبوءة ميثوديوس ، لأنه فى أشد الاحتياج له من أجل استيعاب ما حدث [١٠١] .

ويمكننا أن نلاحظ أنها نفس النبوءة التى اعتمد عليها المؤرخ البيزنطى المعاصر دوكاس، دون أن يذكر صاحبها، فقد أشار الى معرفة سكان القسطنطينية منذ زمن طويل عبر كتابات العرافين أن المدينة سوف تسقط فى أيدى المسلمين، و أن الجنود البيزنطيين سوف يتراجعون حتى عمود قسطنطين، حيث سينزل ملاك من السماء مقدماً سيفه لرجل مجهول، رث الهيئة قائلاً " تناول هذا السيف و اثأر لشعب الرب" .

وعندها سوف يقوم بهزيمة المسلمين و ردهم على أعقابهم ،حتى تخوم بلاد فارس حيث المكان المسمى Monodendrion [١٠٢] .

لم يختلف نسطور – إسكندر كثيراً عن باقى المؤرخين المسيحيين الذين رفعوا من قدر النبوءات القديمة ودورها فى سقوط مدينة القسطنطينية. وبدلاً من الإشارة الى طبيعة العلاقات العثمانية البيزنطية منذ القرن الرابع عشر الميلادى حتى قبيل الفتح العثمانى للمدينة. حيث كانت كل الدلائل تشير الى تنامى القوة العثمانية على الصعيدين السياسى و العسكرى، مقابل التراجع الشديد لدور الإمبراطورية البيزنطية . وهكذا فبدلاً من الإشادة بدور العسكرية العثمانية فى تحقيق النصر على البيزنطيين ،فإننا نجده يلجأ الى النبوءات التى تتحدث عن سقوط المدينة. من ذلك إشارته أيضا الى نبوءة تذكر أن المدينة التى قام بإنشائها الامبراطور قسطنطين (العظيم) ابن هيلينا سوف تسقط عندما يتولى حكمها إمبراطور يدعى قسطنطين و أمه تدعى هيلينا أيضاً [١٠٣] . وهو ما انطبق بالفعل على الامبراطور الأخير قسطنطين الحادى عشر باليولوغس .

كما سبق أن أشار الأب ليونارد الخيوسى الى نبوءة أخرى تعزى للامبراطور ليو الحكيم (٨٨٦– ٩١٢م) حول سقوط المدينة [١٠٤]. غير أن ما يهمنا هنا هى ما تردد من أن قوماً من أصحاب الشعر الأشقر سوف يهبون لنجدة المدينة وهزيمة المسلمين. وهو ما ورد قديماً فى نبوءات الكاهن والعراف Oracle من منطقة Erythraea ببلاد اليونان حول سقوط القسطنطينية. والتى كانت تشير الى الغربيين (اللاتين) [١٠٥] .

غير أن نسطور– إسكندر قدم تفسيراً مغايراً لذلك المعنى ليجعل الروس هم أصحاب الشعر الأشقر[١٠٦] . ومن الواضح أن ذلك يتفق مع أصوله الروسية. كما أن سقوط القسطنطينية و كنيستها الأرثوذكسية فى قبضة العثمانيين المسلمين، جعل مركز ثقل الأرثوذكسية الأوربية ينتقل الى كنيسة موسكو منذ ذلك الوقت .

وتحفل رواية نسطور- إسكندر بالعديد من العبارات التى لا تعزو سقوط القسطنطينية الى البراعة العسكرية للعثمانيين ، وإنما الى إرادة الرب التى حدثت بسبب خطايا وآثام المسيحيين(١٠٧) . وهو ما اتفقت عليه روايات شهود العيان المسيحيين الآخرين(١٠٨). وزاد ليونارد الخيوسى على ذلك بأن عزا سقوط القسطنطينية الى عدم إخلاص سكان المدينة الأرثوذكس فى مسألة الاتحاد الكنسى مع كنيسة روما الكاثوليكية (١٠٩) .

وهكذا اتفق مؤرخنا الروسى نسطور-إسكندر مع باقى شهود العيان المسيحيين البيزنطيين واللاتين فى الإشارة الى النبوءات القديمة التى تناولت مسألة سقوط مدينة القسطنطينية ، والى غضب الرب على سكانها . وكان من الطبيعى أن يكون هذا على عكس ما ذكره شهود العيان المسلمين الذين أرجعوا سقوط المدينة الى قوة العثمانيين العسكرية وبراعتهم . وهو ما نجده عبر كلمات طورسون بك الذى شارك فى أحداث الحصار والفتح العثمانى للمدينة " .... تقدمت المدافع، ولم يفق الكفار بعد من صدمتها. ودارت المعركة فى كل اتجاه ، وتقدم الجنود العثمانيون كالأسود صائحين الله أكبر ...وأخذت السهام تتطاير من البروج ،....كما بدت فى الساحة قوارير النفط الملتهبة، ورعد المدافع،....والحاصل أن نيران المدافع والبنادق وكذا السهام ، نزلت عليهم كالمطر ونوازل القضاء " (١١٠) .

وعلى أية حال ، فإن رواية شاهد العيان الروسى نسطور-إسكندر عن الفتح العثمانى للعاصمة البيزنطية فى ٢٩ مايو ١٤٥٣م تكتسب أهميتها من كونها جاءت من معسكر مختلف عن البيزنطيين واللاتين والعثمانيين ، وإن مالت للرؤية البيزنطية بحسب المذهب الأرثوذكسى الذى اشترك فيه مؤرخنا مع بطريركية القسطنطينية، لنجده يشير الى وحشية الفاتحين العثمانيين مقابل المبالغة فى الدور الذى قام به الإمبراطور البيزنطى الأخير لدرجة فاقت ما ورد فى المصادر التاريخية البيزنطية نفسها .كما ركزت روايته للأحداث العسكرية على ما وقع منها ناحية الأسوار البرية، حيث غفل عما جرى فى مضيق البوسفور وخليج القرن الذهبى وعند الأسوار

البحرية للقسطنطينية. كما أخطأ إذ تحدث عن وجود الإمبراطورة البيزنطية وكذلك البطريرك أثناسيوس .

وعلى الرغم من أن هناك روايات لبعض شهود العيان الآخرين قد اكتسبت مصداقية أكبر من رواية نسطور-إسكندر ، فإن شهادة الأخير تحتفظ بتميزها بفضل مصدرها الروسى . كما أنها جاءت مكملة لباقى الروايات الأخرى . على أنه يمكن التماس العذر له أحيانا فى بعض الأحداث التى أصابها التشوش لديه، نتيجة لصغر سنه آنذاك ، فضلا عن كونه قام بتدوين شهادته عن أحداث الفتح العثمانى للقسطنطينية ١٤٥٣م بعد ثلاثين عاما تقريبا من وقوعها .

* *

هوامش البحث :

[1]- عن المصادر التاريخية التى تناولت الفتح العثمانى للقسطنطينية ١٤٥٣م. راجع :

Nicolo Barbaro, Diary of The Siege of Constantinople 1453, Trans. by, J.R. Jones, New York, 1969; J.R. Melville Jones (ed.), The Siege of Constantinople 1453: Seven Contemporary Accounts, Amesterdam 1972.

وقام الباحث بترجمة هذين المصدرين الى اللغة العربية ، مع دراسة و تعليق وافيين . انظر :

نيقولو باربارو ، الفتح الاسلامى للقسطنطينية . يوميات الحصار العثمانى ١٤٥٣م ، القاهرة ، ٢٠٠٢م ؛ ج.ر. جونز، الحصار العثمانى للقسطنطينية . سبعة مصادر معاصرة ، القاهرة، ٢٠٠٣م. واحتوى الكتاب الأخير على روايات سبعة من شهود العيان والمؤرخين المعاصرين حسب الترتيب: ١- جياكومو تيدالدى Giacomo Tidaldi ٢- ليونارد الخيوسى Leonard of Chios ٣-لاونيكوس خالكوكونديلاس Laonikus Chalkokondylas ٤-ميخائيل دوكاس Michael Dukas ٥-كريستوفورو ريشيريو Christoforo Richerio ٦-جورجى دولفين Zorzi Dolfin ٧- أنجيلو جيوفانى لوميللينو Angelo Giovanni Lomilleno.

بالإضافة الى شهادة بنفينوتو Benevenoto قنصل مدينة أنكونا الإيطالية ، الذى كان داخل مدينة القسطنطينية ، والتى قام الباحث أيضا بترجمتها وإضافتها كملحق فى نهاية الكتاب

; Pertusi, A, " The Anconian Colony

Constantinople and The Report of its Consul, Benevenuto , on The fall of The city in ", in, Charanis Studies, Essays in Honor of Peter Charanis, New Brunswik, 1980, .pp. 199- 218, esp.pp. 207-208.

كما عالجت روايات شاهدى العيان العثمانيين عاشق باشا أوغلو و طورسون بك أيضا أحداث الفتح العثمانى للقسطنطينية . عن ذلك راجع :

Asik pasa Oglu, " Asik pasa Oglu Tarihi ". Hazirlayan, H. Nihal Atsiz, Ankara, 1985 ; Tursun Bey, Tarihi-I Ebul- Feth . Hazirlayan, Mertol Tulum, Istanbul, 1997.

2- عن المعلومات الكاملة حول نسطور – إسكندر وروايته . راجع :

Philipp, A. Dethier (ed.) Anonymous Moscovita. Monumenta Hungariae Historica, 21.1, Budapest, 1871- 1872, pp. 1047-1122;Unbegaun,B," Les Relations Vieux-Russes de la Prise de Constantinople", in, Revue des Etudes Slaves,vol.9,1929,pp.13-38,esp.pp.13,20,25,31, Hanak, W. k and Philippides, M, The Tale of Constantinople (of its Origin and Capture by The Tueks in The Year 1453) by Nestor – Iskander, Moscow, 1998;

وهى الترجمة التى اعتمد البحث عليها . علما أن لهذا المصدر ترجمة روسية . بالإضافة الى ترجمة أسبانية :

Matilda Casa Olea, Nestor Iskandar. Relato Sobre la Toma de Constantinople, Estudio preliminary traduccion Y notes, Granada 2003;

انظر أيضا :

Dujcev, I, " La Conquete turque et la prise de Constantinople dans la Literature Slave Contemporaine" , in, Byzantinoslavica, 14, 1953,pp. 14-54, 16, 1955, pp. 318-329 and 17, 1956, pp. 276- 340; Philippides, M, " Some prosopographical Consideration in Nestor- Iskander's Text ", in, Macedonian studies, vol, 6,1989, pp. 35- 50; Hanak, w. k, " some Historiographical Observations on The source of Nestor- Iskander's The Tale of Constantinople" , in , in Rederick Beaton and Charlotte Roueche (eds.)The Making of Byzantine History: studies Dedicated to Donald M. Nicol, London, 1993, pp. 35-45.

[3]- العديد من الحجاج الروس طوال القرون السابقة على الفتح العثمانى للقسطنطينية برحلات للمزارات المقدسة فى المدينة التى عدت عاصمة المسيحية الارثوذكسية الأوربية . .

عن رحلات الحجاج الروس ستيفن من نوفحورود و اجناتيوس من سمولينسك و الحاج المجهول ، والكسندر الكاتب و الشماس زوسيما لمزارات القسطنطينية قبل الفتح العثمانى لها . انظر :

Majeska, G. P, Russian Travelers to Constantinople in The fourteenth and fifteenth centuries , Washington, 1984.

[4] -," The Tale of Constantinople ", ch. 89, p. 97; Dujcev, I, " La Conquete Turque " , 14, p. 285

[5] - " The Tale of Constantinople " , ch. 89, p. 97

كما ذكر أيضا أن سبب تأليفه لهذا الكتاب انما يعود أيضا الى " الثالوث العظيم مانح الحياة الذى جلبنى للمشاركة فى ذلك ، و عبر الاستعانة برجال حكماء ... "

[6] - Philippides," Some Prosopographical Considerations",pp.36-37.

[7] - " The Tale of Constantinople ", ch. 12, p. 33.

٨- عن ذلك راجع : ريشيريو ، ص ٣١١ ، دولفين ،ص ٣٢٩ ، Asik pasa oglu, op. cit ,pp.135-138 ; Tursun Bey, op. cit, pp.65-75.

[9] - Emecen, F, " Istanbul' un Fethi Olayi ve Bazi Meseleri " in, Uluslararsi Bizans ve Osmanli Sympozyumu (xv. Yuzyil) 30-31 Mayis, Istanbul, 2003, pp. 21-22.

١٠- عن موافقة الامبراطور البيزنطى على الاتحاد الكنسى و انضمام كنيسة القسطنطينية الارثوذكسية تحت لواء كنيسة روما الكاثوليكية ، و ردود الفعل السلبية لسكان القسطنطينية على ذلك . راجع :

نيقولو باربارو، المصدر السابق، ص ٨٩ ؛ دوكاس ، المصدر السابق، ص ٢٣٤-٢٣٥ ؛ ليونارد الخيوسى ، المصدر السابق ، ص ١٢٣-١٢٥ .

١١- عن الكاردينال إيزدور و دوره السابق فى محاولات الاتحاد الكنسي فى مجمع فلورنسا ١٤٣٩م . راجع:

Ziegler, A.W, " Isidor de Kiev, A porte de l'union Florentine" in , Irenikon, 13, 1936, pp. 393-410;Unbegaun,op.cit,p.33, Krajcar, J, " Metropolitan Isidor's Journey to The Council of Florence, some remarks" , in, Orientalia Christiana Periodica, 38,

1972, pp. 367-87 ; Nicol, D , A Biographical Dictionary of The Byzantine Empire, .London, 1991, p. 52

١٢- ذكر نيقولو باربارو حضور الكاردينال إيزيدور و معه ٢٠٠ مقاتل . انظر المصدر السابق ، ص٨٦، و يؤمن على ذلك بارتوسس Bartusis, M, " The Late Byzantine Army ", p.127.

بينما ذكر دوكاس أنه حضر برفقة ٥٠ مقاتلاً ايطالياً بالاضافة الى بعض المرتزقة اللاتين من خيوس. انظر المصدر السابق، ص٢٣٥ . و عن الدور العسكرى لايزيدور و رجاله راجع : خالكوكونديلاس ، المصدر السابق ص ١٩٢؛ بنفينوتو ، المصدر السابق، ص ٣٥٥؛ ليونارد الخيوسى ، المصدر السابق، ص ١٥١.

[13] - " The Tale of Constantinople " , ch. 12, p. 33.

14- خالكوكونديلاس ، المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

[15] - Nestor- Iskender , " The Tale of Constantinople ", ch. 52, p. 69, Kritoroulos, by, Riggs, T, Princeton, 1954, pt. .History of Mehmed The Conqueror, Trans ch.114, p. 40; Hanak, W. K, " The Constantinopolitan Mesotiekhion in 1453 : its Topography. Adjacent Structures and Gates " in, Byzantine Studied, 4, n.s, 1999, pp. 69-98; Philippides, M, " The Fall of Constantinople Bishop Leonard and The Greek Accounts ", in, Greek, Roman and Byzantine studies, , , p. 292.

١٦- الفتح الاسلامى للقسطنطينية ، ص ١١٣؛ الحصار العثمانى للقسطنطينية ، ص ١٣١. بينما يذكر فرانتزس أن الحصار العثمانى للقسطنطينية بدأ فى الرابع من ابريل . راجع :

" The Fall of The Byzantine Empire " , ch. 35, 6, p.9.Unbegaun,op.cit,p.18.

[17] - "The Tale of Constantinople ", ch. 14, p. 35.

وحسب كلمات نسطور – إسكندر " أيها الرب .... بسبب عدم تقوانا وورعنا ، ارتكبنا العديد من الآثام و الخطايا ، و اتصفنا بالجور و الظلم . أيها الرب، ها نحن أمامك ، نثير هياج عشرات الآلاف من الجنود، و نغضبك متناسين هداياك و منحك العظيمة، و كمجانين نقوم بالتخلى عن فضلك و احسانك نحونا . لقد تحولنا نحو الاتيان بالأفعال الشريرة و ارتكاب الآثام ... أيها الرب المقدس، لا تغدر بنا فى النهاية الى أعدائك، لا تحطم شعبك الجدير بالاحترام " .

18- انظر : الفتح الإسلامى للقسطنطينية، ص ١٢٣.

[19] - " The Tale of Constantinople ", ch. 19,pp. 37, 39.

[20] - " The Tale of Constantinople ", ch. 19, p. 39.

٢١- اتصفت المصادر التاريخية المعاصرة بالمبالغة فى ذكر أعداد الجيش العثمانى . فقد ذكر خالكوكونديلاس أنه تألف من ٤٠٠ ألف رجل ، و زاد دوكاس عن ذلك العدد ، و ذكر ليونارد الخيوسى أن عدده كان ٣٠٠ ألف مقاتل ، بينما أشار تيدالدى الى أنهم ١٠٠ ألف رجل . راجع : الحصار العثمانى للقسطنطينية ، ص ١٠٥ ، ١٣١، ١٨٢، ٢٥٢. بينما أشار الشاعر أبراهام من أنقرة الى وجود ٧٠٠ ألف مقاتل . انظر :

Die Eroberung Konstantinoples", p.34 .

انظر: 22-Babinger, F, op. cit, p. 84, Feridun, op. cit, p. 25

٢٣- تحدث العديد من شهود العيان عن بسالة شجاعة الجنود الإنكشارية . انظر : ليونارد الخيوسي ،المصدر السابق، ص ٢٨٥ . و حسب كلماته " ... كان الواحد منهم كمن ينفث اللهب و النار، و

يتمتع بمهارة فى رمى السهام أفضل من تلك التى تمتع بها أبوللو Apollo . كما كان أكثر شباباً و حيوية من هرقل Heracules . و كان كل جندى من الإنكشارية متحمساً لمنازلة عشرة جنود من خصومه دفعة واحدة " ؛ نيقولو باربارو، المصدر السابق ، ص ١٢٢-١٢٣ ، ١٣٠ -١٣١. و حسب كلماته " ... لم يكن أحد من جنود الإنكشارية يهاب الموت ، فقد كانوا يهاجمون مثل الأسود الضارية ..." .

٢٤- كان زاجان باشا و بلطه أوغلو من أهم القادة العثمانيين فى جيش السلطان محمد الفاتح . و هما من أصول مسيحية ذكرت المصادر المعاصرة و شهود العيان أن زاجان باشا كان أكثر القادة الذين قاموا بتشجيع السلطان الفاتح على ضرورة المضى فى حصار و اقتحام القسطنطينية . و تنسب المصادر له أنه تبنى مسألة نقل السفن العثمانية من مضيق البوسفور الى خليج القرن الذهبى ، و كذا دوره فى حفر الأنفاق تحت المدينة ، و دوره فى تشييد الجسر من منطقة غلطه حتى القسطنطينية. عن ذلك راجع :تيدالدى،المصدر السابق،ص١٠٨،خالكوكونديلاس،المصدر السابق،ص١١٩, Unbegaun,op.cit,p.26

كما أن بلطه أغلو كان قائداً للأسطول العثمانى فى مضيق البوسفور و نظراً لنجاح ٤ سفن جنوية فى كسر الحصار البحرى العثمانى و النفاذ الى القسطنطينية ، قام السلطان الفاتح بتوبيخه و معاقبته قبل أن يقوم بالعفو عنه . راجع : تيدالدى ، المصدر السابق ، ص ١٠٩، ليونارد، المصدر السابق، ص ١٤٣-١٤٥؛ نيقولو باربارو ، المصدر السابق، ص١٢٧ ؛ خالكوكونديلاس، المصدر السابق، ص ١٨٩؛ دوكاس، المصدر السابق، ص٢٥٦ ؛ Kritovoulus, op.cit, p. 54

غير أن الملاحظ أن نسطور- إسكندر ذكر بلطه أوغلو مرتين .الأولى عند الهجوم على الأسوار البحرية و الثانية عندما أمره السلطان الفاتح بالبحث عن الامبراطور و التأكد من مقتله. راجع :

" The Tale of Constantinople ", ch. 52, p. 69; ch. 74, p. 85

25- " The Tale of Constantinople " , ch.39 , p. 55 .

26 - Ibid, ch.41, p.57, ch.52, p.69.

27 - " The Tale of Constantinople ", ch.24, p.43 ; Hanak, W.K, " Sultan Mehmet II Fatih and The Theodosian Walls ",pp. 3-5.

٢٨- عن المدفع العثمانى الضخم، راجع المصادر و المراجع التالية : Tursun Bey,op.cit, p. 47,84,88

تيدالدى، المصدر السابق، ص ١٠٦- ١٠٧، ليونارد الخيوسى، المصدر السابق ، ص١٣٣؛ خالكوكونديلاس، المصدر السابق، ص ١٨١؛ دوكاس، المصدر السابق، ص ٢٢٩-٢٣٠ الذى وصف المدفع بأنه" كان يشبه الحيوان الخرافى الضخم Monster " ؛ ريشيريو ، المصدر السابق، ص٣١٣ ، نيقولو باربارو، المصدر السابق،ص١١٨، ١٥٧ Abraham von Ankyra, op. cit, p. 34.

29 - " The Tale of Constantinople " , ch. 33,p 49, ch. 38,p. 53.

انظر ما ذكره دوكاس ، المصدر السابق، ص ٢٥٩ " بعد أن تنطلق القذيفة ، يصبح المدفع ساخناً للغاية من حرارة الكبريت، و نترات البوتاسيوم أو الصوديوم، لذا يجب-عليه أن يبلل بالزيت بسرعة. و بالنسبة للأجزاء المعدنية المعرضة للهواء فإنها تبلل بالزيت أيضاً. و لأن الأجزاء الباردة منه لا تتأثر، فإنها تبلل بزيت متوسط الحرارة . و ذلك حتى لا ينفجر المدفع ".

[30] - " Istanbul'un Fethi Olayi ve Bazi Meseleleri " , in, Uluslararasi Bizans ve Osmanli Sempozyumu (xv. Yuzyil) 30- 31 Mayis, 2003, ed. by, Sumer Atasoy, Istanbul, 2004, pp. 25-27

حيث يرى أن حكاية المدافع الكبرى آنذاك هى فخ لا ينبغى أن يسقط فيه المؤرخ الحديث . لأن تطورها حدث فيما بعد .

٣١- عن ذلك راجع: نيقولو باربارو، المصدر السابق، ص ٨٤-٨٥؛ دوكاس، المصدر السابق،ص ٢٣٠-٢٣١،الذى يذكر أنه شاهد ذلك بنفسه. [31]

[32] - " The Tale of Constantinople ", ch. 43, p. 59.

ذكر نيقولو باربارو فى ملاحظة مهمة أن العثمانيين احتفظوا بهذا الجسر، و لم يقوموا بنصبه سوى عند الهجوم النهائى ".. لأن قنيفة مدفع بيزنطى واحد كانت كفيلة بتحطيمه".

٣٣- انظر ليونارد الخيوسى، المصدر السابق، ص ١٤٢، الذى ذكر أيضاً أن محمد الفاتح قد حاكى بهذه الفكرة ماسبق أن فعله الملك الفارسى اكسر خسز Xerxes عندما قاد جيشه من آسيا الى تراقيا عبر مضيق البوسفور. عن الجسر الخشبى . راجع أيضاً : تيدالدى ، المصدر السابق، ص ١٠٩-١١١ ، خالكوكونديلاس، المصدر السابق، ص ١٨٧، ريشيريو، المصدر السابق، ص ٣١٤، نيقولو باربارو، المصدر السابق، ص ١٥٥- ١٥٦ ,Asik pasa,op.cit,p.138؛ Abraham von Ankyra, op. cit, p.44

٣٤- انظر رواية شاهد العيان البيزنطى حنا كاناتوس عن الحصار العثمانى للقسطنطينية ١٤٢٢م :

Kananos, John, Chronicon . ed. by, I. Bekker. Corpus Scriptorum historae byzantinae, Bonne, 1838, pp. 457- 79, esp. p. 463; Geanakoplos, D. J, Byzantium: church, society, and civilization seen through contemporary Eyes, Chicago, 1984, p. 387.

[35]- Hofmann,S.I, " Ein Brief des Kardinals Isidor von Kiew and Kardinal Bessarion ",in, Orientalia Christiana Periodica ,vol,xiv, Roma,1948,pp.405-414.esp.p.410.

[36] - Hofmann,op.cit,p.410.

راجع أيضا :ليونارد الخيوسى، المصدر السابق، ص١٣٦ ؛ Hanak, w. k, " Sultan II Fatih ", p. 7.

[37] - " The Tale of Constantinople" , ch. 52, p. 69.

[38] - Kananos, op. cit, pp. 460, 462

[39] - " The Tale of Constantinople ", ch. 22, p.41.

[40] - Ibid, ch. 35,p. 51.

[41] - Ibid, ch. 52, p. 69."

وفى البحر كان هناك عدد لا يحصى من السفن والشينيات التى قامت بقذف المدينة فى كافة الأرجاء"

٤٢ - المصدر السابق، ص ١٠٧- ١٠٨

[43] - " The Fall of The Byzantine Empire " , ch.35-6 , p.69.

بينما ذكر كل من ليوناردو و خالكوكونديلاس أن عدد السفن العثمانية فاق المائتى سفينة. راجع المصدر السابق ، ص ١٤٠، ١٨٢ ؛ دوكاس، المصدر السابق، ص٢٥٤ الذى يحدد عددها ب ٣٠٠ سفينة .

٤٤- نيقولو باربارو ، المصدر السابق، ص ١٢٤، دوكاس، المصدر السابق، ص ٢٥٥- ٢٥٦ ، ليونارد الخيوسى، المصدر السابق، ص ١٤٢ الذى ذكر أن تلك السفن حضرت من جزيرة خيوس ثلاث منها تحمل الأسلحة و الإمدادات الغذائية لسكان القسطنطينية ، بالإضافة الى سفينة تخص الإمبراطور البيزنطى قسطنطين الحادى عشر قادمة من جزيرة صقلية . أما المؤرخ العثمانى طورسون بك فذكر وصول سفينتين فقط ، غير أنهما اتصفتا بالفخامة، تحملان الأسلحة و الإمدادات العسكرية و الغذائية للبيزنطيين فى القسطنطينية . راجع :

Tursun Bey, op. cit, p.53

[45] " The Tale of Constantinople" , ch. 52, p.69.

[46] - Ibid, ch. 74,p. 85.

٤٧- عن تفصيل كيفية نجاح السلطان الفاتح و قائده زاجانوس باشا فى نقل السفن العثمانية – برا- من البوسفور الى خليج القرن الذهبى . راجع :

نيقولو باربارو ، المصدر السابق، ص ١٣١- ١٣٢، تيدالدى ، المصدر السابق، ص ١٠٨، ليونارد الخيوسى، المصدر السابق، ص ١٤٠- ١٤١؛ خالكوكونديلاس، المصدر السابق، ص ١٨٥؛ دوكاس، المصدر السابق، ص ٢٥٧- ٢٥٨ ؛ Kritovoulus, op. cit, pt.1, ch.172-177, pp.55-57; ursun Bey, op. cit, p.52;

كما تحدث عن تلك الخطة العبقرية العديد من المراجع الأجنبية المختصة بالفتح العثمانى للقسطنطينية راجع :

Babinger, F, op. cit, pp.88-89 ; Runciman, s, The Fall of Constantinople, 1453, Cambridge, 1965, pp. 105-106; Nicol, D, The Last Centuries of Byzantium 1261-1453, London, 1972, p. 404.

[48] - " Istanbul'un Fethi Olayi ve Bazi Meseleleri ", pp. 27-31.

٤٩- ريشيريو، المصدر السابق، ص٣١٣ ؛ Runciman, op. cit, p.80

[50] - " The Tale of Constantinople ", ch. 13, p. 33

[51] - Ibid, ch. 25, p. 41.

[52]- Ibid, ch. 44, p.61.

[53] - Ibid, ch. 45, p. 61.

يذكر نسطور- إسكندر فى مبالغة فجة أن الامبراطور البيزنطى تمكن من ان يصرع بنفسه أكثر من ٦٠٠ مقاتل عثمانى. راجع: ch.77. p.87

[54] - Ibid, ch. 68, 76, pp. 81, 87.

٥٥- تكرر هذا العرض عدة مرات من رجال الكنيسة و سكان المدينة لرحيل الامبراطور " The Tale of Constatinople ", ch. 13, 42, 68, 69, pp. 49, 59, 81.

[56] - " The Tale of Constantinople" , ch.76, p.87.

٥٧- نيقولو باربارو، المصدر السابق، ص ١٧٨.

٥٨ - ذكر طورسون بك ان الإمبراطور سقط عن جواده، وقام أحد الجنود العزبان بقتله . انظر:

Tarih-I Ebul-Feth,p.59,Asik pasa,op.citp.148 ,

تيدالدى ، المصدر السابق، ١١٧؛ Kritovoulus, op.cit,pt. 1. ch. 275, p.82; Sphrantzes, op.cit, ch.35, p.70الذى ذكر أنه لم يكن الى جوار الامبراطور الذى سبق أن أمره بتفقد الأسوار فى منطقة أخرى. غير أنه سمع أنه قتل . غير أن ريشيريو هاجم الامبراطور معتقداً أنه كان ينوى الفرار، لكنه قتل سحقاً تحت أقدام الجنود العثمانيين المندفعين من البوابة راجع المصدر السابق، ص٣١٩؛ كذلك هاجمه ابراهام من أنقرة متهماً اياه بالفرار عبر سفينة لاتينية . راجع: Die Eroberung "p.45. "

[59] - " The Tale of Constatinople ", ch. 74, p. 84

وأضاف ".. فاندفعوا كالحيوانات الضارية لاقتحام كافة أرجاء المدينة بهدف القبض على الامبراطور ". راجع : ch. 75, p. 87

[60] - Ibid, ch. 82, p.93.

٦١- ليونارد الخيوسى، المصدر السابق، ص١٦٨. ويفسر هذا التصرف بقوله ".. و ذلك حتى لا تسقط مهابته فى أيدى أعدائنا المخادعين ". انظر أيضاً : دوكاس، المصدر السابق، ص ٢٧٢.

[62] - " Die Eroberung Konstantinoplis in Jahre 1453 ", p. 45; Nicol , D, " The Immortal Emperor, The Life and Legend of Constantine Palaeologus , The Last Emperor of The Romans, Cambridge, 1992, p. 83.

٦٣- نتيجة لتردد فكرة نجاح الامبراطورالبيزنطى الأخير فى الفرار من القسطنطينية، فقد تعددت المراثى البيزنطية التى تناولت ذلك .لقد فضل الوجدان الشعبى البيزنطى أن يظل الإمبراطور حياً حتى يستطيع تحرير المدينة من جديد.

أيها الامبراطور قسطنطين، ما الذى يمكن أن يقوله المرء لك ؟

أمازلت على قيد الحياة ؟ أم مت متشبثاً بحسامك ؟

قالوا أنك مت

وسمعتهم يقولون أيضاً أنك قد اختفيت

تحت عناية اليد اليمنى القديرة للرب

إنه لمن الأفضل أن تكون على قيد الحياة .

راجع:

Paparrhegopoulus, c, History of The Greek Nation ,ed. by, Karolides, vol. 2, " Lamentation of Constantinople ", Athens, 1903, p. 661

وعن المراثى اليونانية حول سقوط القسطنطينية فى أيدى العثمانيين ١٤٥٣م . راجع أيضاً:

Angelik, Stathi, Greek Laments on The Fall of Constantinople in 1453 : Folk Monodies and Traditional Songs , ph. D, Dissirtation, University of Ioannina, 2001,

مع توجيه الشكر للدكتورة كوثر سرحان الباحثة بجامعة ايوانينا Ioannina على تزويدى بهذه الرسالة .

[64] - " The Tale of Constantinople ", ch. 79, p. 89.

[65] - Ibid, ch. 83, p. 93, Ubengaun,op.cit,p.28.

[66] - Nicol, , op. cit, p.17.

[67] - Sphrantzes, op. cit, ch. 24, p.52.

[68] - " The Tale of Constantinople " , ch. 68, p. 81, Ubengaun,op.cit,p.28 . و ربما كان نسطور-اسكندر يقصد الكاردينال ايزيدور .

٦٩- انظر قائمة بطاركة كنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية :

Oxford Dictionary of Byzantium, ed. by, Alexander p. Kazhdan , vol, 1, oxford, 1991, pp. 522-23

كان جينياديوس عالماً لاهوتياً كبيراً فى كنيسة القسطنطينية غير أنه عارض الاتحاد الكنسى مع كنيسة روما الكاثوليكية . راجع :

ليونارد الخيوسى، المصدر السابق، ص ١٣٩؛ دوكاس، المصدر السابق، ص٢٣٦ . و عن علاقته بالسلطان الفاتح بعد فتح القسطنطينية، انظر: Papadakis, A, " Ginnadius II and Mehmet The Conqueror ", in, Byzantion , XLII, 1972, pp. 88-106

[70] - " The Tale of Constantinople ", ch. 22, 23,p. 41

تحدثت المصادر المعاصرة عن وصول جستنيانى للقسطنطينية . انظر أيضاً :نيقولو باربارو، المصدر السابق، ص ١٠٣- ١٠٤، الذى زاد على نسطور- اسكندر بأن ذكر موعد وصول جستنيانى فى السادس و العشرين من يناير ١٤٥٣م برفقة سفينتين و ٧٠٠ مقاتل ؛ ليونارد الخيوسى، المصدر السابق، ص ١٣٤ حيث ذكر وصوله مع أربعمائة رجل و سفينتين ؛ دوكاس ، المصدر السابق، ص ٢٥٠- ٢٥١ ؛ ريشيريو، المصدر السابق، ص ٣١٧- ٣١٨ .

Kritovoulus, op. cit, pt.1, ch. 108, pp. 69–70; Babinger, op.cit, pp.79; Runciman,

op. cit, p. 79, 86–87.

[71] - " The Tale of Constantinople", ch. 25, p.43.

٧٢- على سبيل المثال راجع خالكوكونديلاس الذى تحدث بشكل عام عن المشاكل المتعلقة باستخدام المدافع البيزنطية . و أشار أيضا الى انفجار مدفع البيزنطيين ، بينمالم يشر الى انفجار المدفع العثمانى. المصدر السابق، ص ١٨٨. وراجع هذا المقال الهام حول المدفعية البيزنطية . غير أنه لم يصل الى الحديث عن المدافع البيزنطية أثناء الحصار العثمانى للمدينة. Dennis,G, " Byzantine Heavy Artillery: The Helepolis",in,Greek,Roman and Byzantine Studies,vol.39,1998,pp.99-115.

٧٣- تيدالدى، المصدر السابق، ص ١١٦، هامش ١٠ ؛ ليونارد الخيوسى، المصدر السابق، ص ١٦٧ ؛ دوكاس، المصدر السابق ، ص ٢٧٠ ، خالكوكونديلاس ، المصدر السابق، ص ١٩٣؛ نيقولو باربارو ، المصدر السابق، ص ١٧٣ ؛ Bartusis, op. cit, p. 125

[74] - " The Tale of Constantinople " , ch. 39, 60, pp. 55, 75.

[75] - "The Tale of Constantinople"., ch. 66, p.79

٧٦- انظر ليونارد الخيوسى، المصدر السابق ، ص ١٥٦.

[77] - " The Tale of Constantinople ", ch. 39, p. 55.

[78] - Ibid, ch. 41, 63, 42, pp. 57, 77, 59

بالنسبة للأول ربما كان ثيوفيل باليولوغس الذى أشار اليه كل من ليونارد الخيوسى و ريشيريو ، المصدر السابق ، ص ١٢٤، ١٥٣، ٣١٩. أما الثانى ربما كان يشير الى ثيودوروس- خارستينوس Theodorus Charistinus الذى ورد لدى ليونارد الخيوسى، المصدر السابق، ص ١٥٣ .

٧٩- انظر : نيقولو باربارو، المصدر السابق، ص ١٠٨ ، ١١٦، الذى أشار الى أن الإمبراطور البيزنطى أمر بارتلميو سوليجو Bartolomio Sligo بمد السلسلة لإغلاق مدخل خليج القرن الذهبى ، ليونارد الخيوسى ، المصدر السابق، ص ١٤٠؛ خالكوكونديلاس، المصدر السابق، ص ١٨٢؛ تيدالدى، المصدر السابق، ص ١١٠؛ Kritovoulos, op. cit, pt. 1, ch. 106, pp. 38-39 ; Bartusis, op. cit, p.123

وهى السلسلة التى أسماها المؤرخ العثمانى طورسون بك " باب الميناء ". راجع : " Tarih- I Ebul- Feth" , p. 53

[80] - Kananos, op. cit, pp.457, 479

وعن أعتقاد سكان القسطنطينية فى السيدة العذراء بوصفها حامية المدينة، انظر أيضاً هذه المقالة الهامة :

Baynes, N, " The Supernatural Defendes of Constantinople " in, Byzantine Studies and Other Essays, Conneticut, 1974, pp.248- 260, esp. pp. 254-255, 259- 260.

[81] - " The Tale of Constantinople ", ch. 14, 50, 54, pp. 33-35, 65, 71.

راجع أيضاً: نيقولو باربارو، المصدر السابق، ص ١٧٠ ؛ خالكوكونديلاس، المصدر السابق، ص ١٩٥.

٨٢- ذكر نيقولو باربارو حضور الكاردينال إيزيدور برفقة ٢٠٠ مقاتل. راجع المصدر السابق، ص ٨٦، و يؤمن على ذلك الباحث بارتوسيس Bartusis, M, op. cit, p. 126 . بينما ذكر دوكاس أنه حضر برفقة ٥٠ إيطاليا بالإضافة الى بعض المرتزقة اللاتين من جزيرة خيوس . انظر : المرجع السابق، ص ٢٣٥ ؛ و انظر أيضاً : خالكوكونديلاس ، المصدر السابق، ص ١٩٢ ، بنفينوتو ، المصدر السابق، ص ٣٥٥؛ ليونارد الخيوسى، المصدر السابق ، ص ١٥١ .

٨٣- خالكوكونديلاس، المصدر السابق، ص ١٩٧ ؛ ريشيريو ، المصدر السابق، ص ٣٢٢ . والأسبرة هى المعادل الأوربى للأقجة Akce وهى عملة عثمانية فضية استمرت حتى القرن الثامن عشر الميلادى. أنظر : Bayerle,G, Pashas,Begs and Efendis, A Historical Dictionary of Titles and Terms in the Ottoman Empire, Istanbul,1997,pp.4,11.

[84] - Bartusis, op. cit, p. 127 ، بنفينوتو ، المصدر السابق ، ص ٣٥٥

٨٥- أفاض الطبيب البندقى فى الحديث عن المساعدة التى قدمها البنادقة الموجودين بالقسطنطينية لسكان المدينة ضد العثمانيين، راجع المصدر السابق، ص ٩٣- ٩٤، ١٣٤-١٣٥ ، ١٣٧-١٣٩ .

٨٦- نيقولو باربارو، المصدر السابق، ص١١٥؛ Runciman, op.cit,p.120

٨٧- دوكاس ، المصدر السابق، ص٢١٦- ٢١٨ ;Bartusis, op. cit, p. 120

٨٨- خالكوكونديلاس، المصدر السابق، ص ١٩٥- ١٩٦ ؛ دوكاس، المصدر السابق، ص ٢٨٨- ٢٨٩

٨٩-عن العلاقات التجارية بين مدن جنوا والبندقية مع الدولة العثمانية حتى الفتح العثمانى للقسطنطينية، راجع هذا الكتاب الهام :

Fleet,K, European and Islamic Trade in the Early Ottoman State,Cambridge,1999.

ولهذا الكتاب ترجمة عربية غير موفقة.أنظر :كات فليت،التجارة بين أوربا والبلدان الإسلامية فى ظل الدولة العثمانية ، ترجمة أيمن الأرمنازى،الرياض،٢٠٠٤م.

٩٠- عن ذلك ، راجع المصادر التالية: تيدالدى، ص ١١٦، خالكوكونديلاس ، ص ١١٩؛ دوكاس ، ص ٢٨٣، ٢٨٤ ؛ ريشيريو ، ص ٣٢٢ ؛ لوميللينو ، ص ٣٤١- ٣٤٤،٣٤٢. و انظر نص المعاهدة باللغة اليونانية:

Miklosich und Muller (eds.), Acta et Deplomata Graeca Res Graecas Italasque Elustratia,Wien,1865,III,PP.287-288, Iorga,N, " Le Privilege de Mohammed II Bulletin de la pour La Ville de Pera (1-er Juin 1453)"in, Academie Roumaine, 32. Section istorique,1,1914,pp.11-3وراجع أيضا الترجمة العربية للمعاهدة التى قام بها الباحث فى كتابه: الحصار العثمانى للقسطنطينية ،ص ٣٤٩ -٣٥٢ . ملحق رقم (١)

91 - " The Tale of Constantinople", ch. 47, 63.

92- المصدر السابق، ص ١٥٩- ١٦٠.

93- نفسه ، ص١٤٩ .

94 - " The Tale of Constantinople ", ch. 47, p. 63.

راجع ما ذكره دولفين، المصدر السابق، ص ٣٣٤ ، الذى تحدث أيضاً عن صعود ألسنة اللهب والأضواء الساطعة .

95 - "The Tale of Constantinople", ch. 48, 68, pp. 63, 81.

96 - Ibid, p. 128. not. 74

و يسميان ظاهرة الضوء الساطع الذى صعد الى السماء بنار القديس إلموت " St. Elmot Fire "

97- راجع : ويستنفلد ، ف، جدول السنين الهجرية بلياليها و شهورها بما يوافق من السنين الميلادية بأيامها و شهورها، ترجمة عبد المنعم ماجد، عبدالمحسن رمضان، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٧٨ .

98 - " The Tale of Constantinople ", ch. 70, p. 81;

راجع أيضاً : دولفين، المصدر السابق، ص ٣٣٤ الذى أشار الى الضباب الذى لف سماء القسطنطينية، و استمر من الصباح الباكر حتى المساء .

99 -" The Tale of Constantinople ", ch. 38, 85, 86,pp. 55, 95, 136-137 not. 103,

pp. 304-308. 104; Dujcev, op. cit, Tom. 3,

100- تألفت نبوءة ميثوديوس من ١٤ فصلاً عبر أربعة أقسام رئيسية:

(١) القسم الأول: تضمن الفصول السنة الأولى و تتعرض لخلق العالم و أدم و حواء حتى ابراهيم وزواجه من هاجر المصرية .

(٢) القسم الثانى : تضمن الفصول حتى التاسع و يطلق عليه أسطورة الإسكندر ، و يتكون من مقدمة تاريخية ذات مسحة أسطورية من العصرين اليونانى و المقدونى حاول المؤلف خلالها إيجاد أصل حبشى للإمبرطورية البيزنطية .

(٣) القسم الثالث: يتضمن حتى الفصل الثانى عشر، و يدور حول ما أسماه " نكبة الاسلام". و يصف فيه ما ألحقه الفتح الإسلامى من دمار فى بلاد الشام، و تحول المسيحيين الى الاسلام .

(٤) القسم الرابع : يدور حول المخلص الجديد، الإمبراطور البيزنطى، الذى سيقوم برد المسلمين وهزيمتهم، بل ومطاردتهم حتى الجزيرة العربية و احتلال مدينة يثرب Ethribus .

عن نبوءة ميثوديوس التى حازت شهرتها الواسعة منذ القرن الرابع عشر الميلادى . راجع:

Palmer, A (ed.), The Seventh Century in The West- Syrian Chronicles, Liverpool, 1993, pp. 222-242; Hoyland, R.G, Seeing Islam As Others Saw it. A Survey and Evaluation of Christian , Jewish and Zoroastrian Writings on Early Islam, Princeton, 1997, pp. 263. 270, 295-297; Paul. J, Alexander, The Byzantine Apocalyptic Traditions,London,1985, "The Syriac Apocalypse of Pseudo-Methodius", pp. 13-51, Martinez,Francisco Javier, Eastern Christian Apocalyptic in the Early Muslim Period : Pseudo-Methodius and Pseudo-Athanasius (volumes I and II) Ph.D , The Catholical University of America,1985.

وانظر أيضاً الدراسة المهمة للزميل عبد العزيز رمضان : التناول الأبوكاليبسى للفتح الاسلامى ، نبوءة ميثوديوس المجهول نموذجاً، بحث فى كتاب : دراسات فى التاريخ و الحضارة الاسلامية، مجموعة بحوث مهداة للمؤرخ محمود اسماعيل، تحرير عبد العزيز رمضان و خالد حسين، القاهرة، ٢٠٠٩م ،ص ٣٨١- ٤١٠ .

١٠١- "... إننى أتوسل اليك سيدى العظيم أن ترسل لى كتاب القديس ميثوديوس، سواء أكان فى نسخته القديمة أو الجديدة، اذا ما كان لديك نسخة منه ،.. من فضلك لا تنس ذلك لأننى أحتاج اليه بشدة " .

راجع : Darrouze, J, " Lettres des 1453 ", in, Revue des Etudes Byzantines, Tom, XXI, 1963, p. 91.

١٠٢- دوكاس ، المصدر السابق، ص ٢٧٧ .

أشار البروفسور دونالد نيكول الى أن المكان Monodendrion يدعى أيضاً شجرة التفاح الأحمر (Kokkini Milia)، الذى يزعم أنه الموطن الأصلى الذى شهد ميلاد نبى المسلمين . كما أن أسطورة الرجل الفقير الذى سيقوم بانقاذ الشعب المسيحى و مدينة القسطنطينية و طرد المسلمين منبثق من النبوءات السابقة.

" The Immortal Emperor",p.101

[103] - " The Tale of Constantinople ", ch. 77, p. 87; p.132, not. 89,90

وقد ذكرت المصادر المعاصرة و شهود العيان أيضاً تلك النبوءة. راجع: Kritovoulus, op. cit, ch. 269, p. 80

؛ نيقولو باربارو ، المصدر السابق، ص ١٢٨. الذى أشار أيضاً الى ما أسماه النبوءة الأولى حول سقوط القسطنطينية ، حيث كان الإمبراطور قسطنطين العظيم، مؤسس المدينة، يسير على صهوة جواده بالقرب من العمود الواقع بالقرب من كنيسة أيا صوفيا، و أشار بيده شرقاً، باتجاه الأناضول، قائلاً: " إن الشخص الذى سوف يقضى علىّ سوف يأتى من هذا الاتجاه" . راجع ص ١٦٧. أنظر أيضا : Nicol,op.cit,pp.75-76.

والحقيقة أن مسألة النبوءات المتعلقة بسقوط القسطنطينية قد راجت قبل نسطور- إسكندر بزمن بعيد. من ذلك ما ذكره مؤرخا الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م ، روبرت كلارى و فلهاردوين، اللذان ذكرا وجود عمودين بالمدينة عاش الرهبان و النساك فى قلابات أعلاها، و نقش على جدرانهما صور و تهاويل، و نبوآت بما سيجرى فى القسطنطينية من أحداث. و ذكرا أيضا أن استيلاء اللاتين على المدينة كان مدوناً عليهما. راجع : فتح القسطنطينية على يد الصليبيين ، ترجمة وتعليق حسن حبشى، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ١٣١-١٣٢ ؛ فتح القسطنطينية ، ترجمة و تعليق حسن حبشى، جدة ١٩٨٢م، ص ١٤٧- ١٤٨ . انظر أيضاً عن نبوءة توماسو موروسينى Tomaso Morisini كبير الأساقفة اللاتين فى القسطنطينية بعيد الحملة الصليبية الرابعة (١٢٠٤-١٢١١م) التى ذكرت أن الجنس الذى يحمل الحراب سوف يأتى من مواجهة القسطنطينية ، ليقوم بالاستيلاء على مينائها الشهير. و عندها تتم إبادة الجنس البيزنطى. راجع : ليونارد الخيوسى، المصدر السابق، ص ١٢٩.

١٠٤- المصدر السابق، ص ١٢٨- ١٢٩ . الذى شرح كيف جرى تقسيم الوثيقة المتعلقة بتلك النبوءة الى مربعات تبين تعاقب الأباطرة البيزنطيين منذ عهد قسطنطين العظيم و حتى سقوطها . و بمرور الوقت تم ملء جميع المربعات بشكل كامل . على حين ترك المربع الأخير خاوياً من أجل الامبراطور الذى سيقوم بحكم المدينة ، التى ستتعرض للفناء بعد أن يتم تتويجه . عن نبوءة ليو الحكيم التى حازت شهرتها خلال القرنين الرابع عشر و الخامس عشر الميلاديين . راجع:

Mango, c, " The Legend of Leo The Wise", in, Byzantium and its Image, History and Culture of The Byzantine, Empire and its Heritage, London, 1984, pp. 59- 93, esp. pp. 61, 67, 74, 85.

والحقيقة أن العالم المسيحى الذى شعر بالتهديد الاسلامى كان قد لجأ منذ زمن بعيد الى الاعتراف بنبوءات عديدة، تنتهى جميعها بصحوة المسيحية من جديد، و قيام الامبراطور البيزنطى بقهر الفاتحين المسلمين، و طردهم الى بلادهم. من ذلك نبوءة القديس أندرو سالوس St. Andrew Salos التى تحدثت عن قيام الامبراطور بإصلاح أحوال مدينة القسطنطينية، قبل أن يتوجه نحو الشرق لإذلال المسلمين، و احتلال أراضيهم من جديد، لدرجة أن مصر سوف تعود لدفع الجزية الى الرومان من جديد . راجع:

Mango, c, " The Life of st. Andrew The Fool ", in, Byzantium and its Image,, pp.297-313; Hoyland, op. cit, pp.305-307; Wortley, J, " The Literature of Catastrophe ", in, Byzantine Studies, vol, 4, pt. 1, 1977, pp. 1-17; esp. pp. 3, 10.

الذى يقرر أن انتشار ذلك الأدب فى روما الجديدة (القسطنطينية) عن روما القديمة كان بسبب المسيحية، و المقارنة مع تراث العهد القديم .

١٠٥- ليونارد، المصدر السابق، ص ١٣٠، كما أشار أيضاً الى ما ذكره الأب يواقيم الفلورى Joachim of Fiore (١١٤٥- ١٢٠٢م) الذى كتب ".. وا أسفاً عليك ، المشيدة فوق سبع تلال، صاحبة الأيدى المبتورة، المحرومة من المساعدة " .

[106]- " The Tale of Constantinople ", ch. 86, 95

حيث يشير اليهم بلفظ Rusie . و يمهد نسطور- إسكندر بتلك الاشارة الى الدور الذى لعبته موسكو فيما بعد بوصفها روما الثالثة فى حماية المسيحية . عن ذلك راجع :

Dujcev, op. cit, pp. 280- 283, Wolf, R. L, " The Three Romes: The Migration of an Ideology and The Making of an Autocrat ", in, Myth and Mythmaking, ed. Murray, H. A, Boston, 1959, pp. 174-198 ; Stremoukhoff, D, " Moscow The Third Rome : Sources of The Doctrine ", in, Speculum, 28, 1953, pp. 84- 101.

[107] - " The Tale of Constantinople ", ch. 35, p. 53.
ch.45,p.61.ch.50,p.67.ch.51,p.69.ch.84,p.93.ch,89,97.

".... بسبب عقوقنا و عدم تقوانا وعقولنا المخادعة، و بسبب خطايانا و آثامنا التى ملأت قلوبنا ، و لأننا لم نستمع الى وصايا الرب ... فكيف يمكن أن نهرب من عقابه "، " إن الانتصار العسكرى للعثمانيين، و سقوط الامبراطورية البيزنطية انما هو من الإرادة الالهية ".

" لأننا خطاؤون أيها الرب . و ارتكبنا الشرور و الآثام تجاه السماء ". " على الرغم من صلواتنا و توسلاتنا و تضرعنا الى الرب . فبسبب خطايانا و آثامنا ثم حرماننا من غفران و كرم الرب ". " ... لقد جرى كل ذلك بسبب خطايانا و آثامنا .. لقد جلس الشقى محمد على العرش الامبراطورى" . " ذكر المسيحيون أن سقوط القسطنطينية، انما مرجعه إرادة الرب" .

١٠٨- راجع أيضا على سبيل المثال، نيقولو باربارو، المصدر السابق،ص ١٦٧ . " ....فى يوم ٢٩ مايو، آخر أيام الحصار، كان الرب قد اتخذ قراره مع وافر الأسى و الأسف للبيزنطيين . لقد أراد الرب للمدينة أن تسقط هذا اليوم فى قبضة محمد بك العثمانى بن مراد ".;

" غضب الرب كثيراً نتيجة للظلم الذى حدث بالقسطنطينية، فأنزل عقابه عليها دون رحمة ".
Abraham von Ankyra, op. cit, p. 53

١٠٩- المصدر السابق، ص١٢٧، ١٣١، حيث خاطب سكان المدينة قائلاً " إن ما حدث لكم ، لم يحدث لأنكم فعلتم ذلك (الاتحاد الكنسى) بشكل زائف ، و ليس بروح صادقة، و لهذا السبب، فإن الرب قد غضب عليكم حقاً. و هكذا فقد صب جام غضبه عليكم و أنزل عقابه بكم بأن تسقطوا فى أيدى أعدائكم ". "... و تصاعد غضب الرب نتيجة لهذا (الاتحاد الزائف بين الكنائس) و أرسل محمد ، أقوى سلاطين العثمانيين ... ليقيم معسكره أمام القسطنطينية ".

[110] Tarih-i Ebul-Feth,p.55.

راجع أيضا شهادة الأب ليونارد الخيوسى،المصدر السابق،ص ١٦٢. الذى يعد شاهد العيان المسيحى الوحيد الذى ذكر أن الجنود العثمانيين كانوا يصيحون أثناء الهجوم " لا إله الله ، محمد رسول الله " . وأضاف أن البيزنطيين قد انعقد لسانهم، وأصيبوا بالدهشة والذهول عندما استمعوا الى تلك الصيحات .

* * *